عاشوراء

جرأة الحرية

مقاومة بؤس الراهن بين السلطان والقرآن

عبد اللطيف الحرز

دار المحجة البيضاء



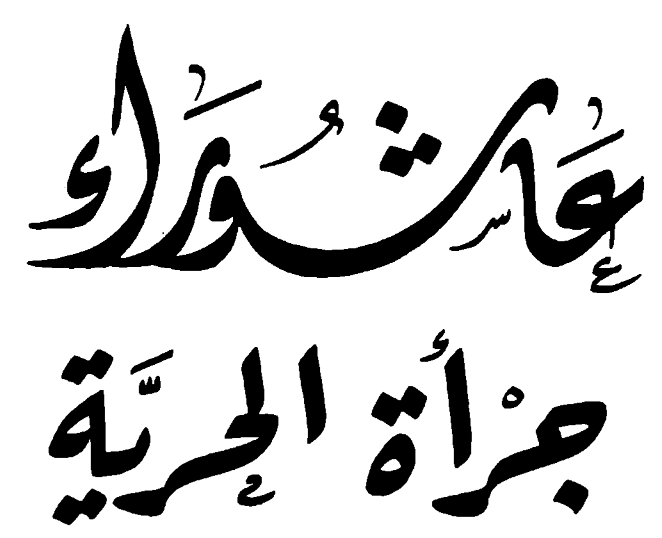
مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

عاشوراء

جرأة الحرية

مقاومة بؤس الراهن بين السلطان والقرآن


بسم الله الرحمن الرحيم



مقاومة بؤس الراهن بين السلطان والقرآن

عبد اللطيف الحرز

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

الإهـــــداء:

الى الشبيبة الذين رفعوا راية الحسين في غزة

الى الامل الاخير في البراءة والطهر والارتقاء

الفتاة النقية النقية.. هيام

القسم الاول:

قتل الكلمة
ومقاومة ثقافة التزوير

(١)

صدمة التشيع وقمع الدلالة

تقبيح الحسن وتحسين القبيح:

لم تكن صرخة الشيخ القرضاوي عام ٢٠٠٨ من اجل التصدي للتشيع وتجييش الجيوش ضده، صرخة في فراغ. وانما هي صرخة مقدم المعسكر لا غير. إذ كل ما يطرح اليوم باسم الادب أو التاريخ أو النقد، إلا وله مساهمة بشكل أو بآخر لمجابهة «محور الشر» هذا.

لاحظ كيف تم نفخ خطاب القرضاوي فبات بحجم قنبلة، وتم تسقيط وتصغير خطاب مفتي الديار المصرية علي جمعة، لا لشيء إلا لكون الثاني باعترافه بجواز التعبُّد بمذهب التشيع، وهي فتوى شيخ الازهر القديم الشيخ شلتوت، دعوة

للتسامح والحوار وتفعيل التعارف الذي دعا اليه القرآن والتمسك بالبرهان وليس بالسلطان. بينما الاول لديه ترضية السلطان قبل القرآن، الماضي وعبادة السلف كالأصنام على حساب حقيقة القرآن. هل فعلاً يمكن سجن الحرية، ام يمكن شل طاقة الشباب اليوم عن معرفة الحقيقة، في عالم مفتوح على القراءة ومعرفة مصادر التاريخ؟! هل تبقى كذبة الثوابت العقائدية قميص عثمان القديم، ام الى متى يقوم المثقف العربي اليوم بدور معاوية؟!

لا نجد ثمة تركيز اعلامي على رياضة قتل الثيران في اسبانية ولا مسابقات السيارات التي تودي بآلاف الضحايا، أو ضرب الدراويش لأنفسهم بشتى انواع الأدوات الحادة، بالاضافة إلى انتشار الموت الصامت بين الشباب بالمخدرات وغيرها. لم يهتم الاعلام العربي أبداً بكل تلكم المجازر اليومية التي تعرض لها الشعب العراقي بعد ٢٠٠٣ والتي وصلت إلى نصف مليون إنسان، متفجرات وذبح بالسكاكين ورمي الاطفال بالانهار، والاعتداء على النساء والشيوخ حتى بعد الموت، مشاهد تفوق مشهد أي تطبير ولطم. لكن التركيز

كل التركيز على مراسم عاشوراء سنوياً. هنا يتم حجب الحسين كقضية بواسطة الحسين كطقوس، من اجل التعمية على سماع ما قاله الحسين وكيف خاطب اعداءه، ولماذا وكيف قُتل؟!

لماذا يكون التركيز على مشاهد اللطم والتطبير ولا تجري اية تغطية خبرية على حملات التبرع بالدم في عاشوراء لمئات المستشفيات في الشرق والغرب؟!

لماذا لا يتم المقارنة هنا بين فكر يمنح الدم للجميع بلا تحديد لعرق أو مذهب، وبين آخر يسفك الدماء ويجعل القتل شريعة؟!

ولست أدري هل الحسين ابن بنت نبي الأمة جمعاء، أم انه إمام مذهب بعينه، كي يتم الاحتفاء به من قبل جماعة خاصة فقط.. لماذا لا يقوم الآخرون بالاحتفال به بوسائل اخرى بدل الاشتغال بفضح الوسائل الخاطئة فقط؟!

بالطبع هناك طريقان لتشويه مدرسة أهل البيت. هنالك الذبح الحار، حيث يسهر عليه ابناء الكراهية الصريحة. حيث تزوير التاريخ وتفخيخ المدنيين وتخريب المدن والعنصرية

المذهبية. وهناك الذبح البارد عن طريق اللطميات المائعة والخطباء التافهين، والتطبير والغلو واحاديث الخرافات، كل ذلك تحت لافتة مجالس الحسين واحياء ذكر أهل بيت النبي.

ليس ثمة شيء خارج المنطق، ومن هنا فحينما تم نفي الحسن والقبح العقليين اللذين قال بهما المعتزلة والشيعة، على يد الاشاعرة، كان هذا النفي قمعاً سياسياً باسم القناع الاعتقادي. فمعنى ان القبح والحسن شرعيان، ان الأمر هو بيد السلطان. فالسلطان هو من بيده الشرع إذ ما يقبحه السلطان يكون قبيحاً وما يحسنه يكون حسناً. والعقل العربي اليوم هو عقل أشعري حنبلي لذا هو يتغاضى عن آلاف القبائح بل ويجعلها حسنة، فترى الفقيه الفلاني يحرم المظاهرات لنصرة غزة في فلسطين لكون أمراء بلاده يقبحون ذلك، فكان القبيح حسناً. وتجد القناة الاعلامية الفلانية تستنكر المظاهرات في لبنان الناصرة لغزة وهي تهتف بشعار الحسين هيهات منا الذلة، فيغدو الحسن قبيحاً. لا مجال لعرض ذلك على الوجدان والمنطق لكون أبي حنيفة وابن تيمية ومحمد بن

عبدالوهاب سنّوا سنة قمع العقل وجعله صنو الزندقة والأوهام.

وبدل أن يكون هولاء هم انصار العقل المستقيل في الإسلام، يكون العكس فمُحرِّم العقل والنظر يكون حركة اصلاح، وابن سينا صاحب أكبر موسوعة علمية ورياضية هو ضد العقل، كما فعل محمد عابد الجابري، هنا يكون الجهل عقلاً والعقل خرافة على منوال تقبيح الحسن وتحسين القبيح. تماماً كما فعل محمد عمارة حينما كتب عن الحركات الثورية في الإسلام[1]، حيث ألغى شعوباً بأكملها وراح يبحث في كتب الموتى عن فرق مندثرة مبتراً نصوصها كي يكون مذهباً واحداً هو الثوري والباقي عملاء سلاطين، رغم ان المذهب الثوري الذي يدافع عنه هو مذهب الدولة والسلاطين بعينه!

في الحقيقة ان مشكلة التراث وإشكالياتها تم الرد عليها بوسائل تراثية معاكسة. فقد تم قمع الاصولية الإسلامية

---

(١) محمد عمارة، الاسلام والثورة.

بالاصولية القومية. مما فاقم المشكلة وأدى إلى الانتهاء إلى أصولية ثقافية ظاهرها الفكر النقدي وباطنها الانغلاق المذهبي كما قدمه لنا معروف الرصافي، وأحمد أمين وطه حسين وعبدالرحمن بدوي وجواد علي وعلي الوردي وهادي العلوي ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي وهشام جعيط ومحمد عمارة وعبدالله القصيمي وأحمد الكاتب وحسن العلوي وآخرين. خصوصاً واننا لم نبدع منهجاً لمقاربة التراث وانما استوردنا طريقة النظر استيراداً، ككل تحركات وتنظيرات شعاراتنا الحديثة والمعاصرة:

« ذلك أن هذه الاشكالية [اي اشكالية التراث] المانية في أصولها ومسألة التراث طرقت، وما زالت تطرق، في نظرنا، بالكيفية التي نحتها الفكر الالماني منذ بداية القرن الماضي حيث طرحت مسألة التراث في ملابسات سياسية وفكرية معينة»[1].

---

(١) عبدالسلام بن عبد العالي ص١١، هايدغر ضد هيجل، التراث والاختلاف، طبعة دار التنوير، الطبعة الثانية ٢٠٠٦.

لذا كانت حكومات القومية أول ما تقمـع التـشيع ثقافـة ومنظمات، فكراً ورجالاً. فالقومية هي الاخـرى طرحـت بـلا منهج أسوة بمشكلة التـراث، يقـول أحـد المنظـرين العـرب، طيب تزيني، هنا بصراحة:

«ونرى في هذا السياق، أن أحد المداخل الرئيسية إن لم يكن المدخل الرئيس إلى إشكالية البحث في قـضية الوحدة العربية، يتمثل في وجهها المنهجي. وممـا يـثير الانتباه أن هذا الاخير غالباً ما كان مهملاً، وفي الحالات الاخرى التي برز فيها، لا يعدو أن يكون الأمر في جوهره وعموميته ذا بعد ساذج، يظهر فيه مـصطلح «مـنهج» على نحو مقحم وذي وظيفة تزيينية»[1].

لذا سرعان ما حصل انحسار الضباب وبان العجـز وعـلا يد ذات حملة الشعارات ذاتهـم. فـإذا بالـذين أشـاعوا فكـرة القومية هم ذاتهم من شيّعها.

يقول المنافح الاخير عبدالإله بلقزيز هنا عن أفـول نجـم

---

(١) طيب تزيني ص٣٣، فصول في الفكر الـسياسي العربـي، الطبعـة الثانيـة ٢٠٠٤ دار الفارابي.

القومية وتنظيراتها:

«والأنكى أن ذلك لم يحصل بقوة أحكام التعاقب التاريخي، حيث من المفهوم - إلى حد ما - أن يعقب جيل جيلاً آخر، فينصرف عن يقينياته وثوابته إلى غيرها، بل هو حصل بقوة أحكام التزامن التاريخي: حيث مال الجيل نفسه، والنخبة نفسها، إلى إتيان فعل المشايعة والتشييع معاً، وفي زمن لم تكن الفواصل بين لحظاته وسيعة إلى حد الذي يتبرر به أمره!»[1].

وهنا تأتي صدمة التشيع أمام تفجر السلفية المسلحة والوهابية المُكَفِّرة، فكما كان الطرح القوموي يعرض الإبادة بجميع الاطروحات الاخرى ويخنق أي صوت لقومية اخرى، فإن السلفية والوهابية يقومان بتصفية أي صوت لمذهب آخر تحت مقصلة انهما فقط أهل السنة بألف ولام الحصر. وعلى هذا الاساس يكون البحث التاريخي كله وهماً إلا بما يتطرق بنفي كل ما يرتبط بعلي بن أبي طالب، هو اليقين كما في

(١) عبدالإله بلقزيز ص٩ من العروبة الى العروبة.

كتابات الرصافي. أو لا يحضر الشيعي في كتاب مذاهب الإسلاميين لعبدالرحمن بدوي إلا بكونهم مجسمة بادوا وانقرضوا أو إسماعيلية ولا حديث عن كل هذه الجماهير الشيعية الاثني عشرية المنتشرة مساجدهم وحوزاتهم ومدارسهم وكتبهم وندواتهم، على الأرض.

ونفس الأمر نجده في مجلدات من «العقيدة إلى الثورة»، الخمس لحسن حنفي إذ لا وجود للشيعة إلا بكونهم باطنية أو مجسمة أو معارضة مسكوت عن عقائدهم وادلتهم. أو انهم ورثة فكر صابئي حراني وبهذا فهم فكر دخيل على العقل العربي كما لدى محمد عابد الجابري في كتابه عن نقد العقل العربي. تتحول الضحية إلى مؤسس لنظرية الغنيمة مع ان نظرية العصبية والبيعة للاقوياء هي نظرية ابن خلدون والامويين الذين هم من كرسوا ذهنية البيان بخلاف مدرسة أهل البيت التي حرصت على السؤال وطرح الادلة. وعلى يد طه حسين ثم هاشم جعيط يتحول الإمام علي واولاده من ضحية الفتنة إلى انهم هم الفتنة ذاتها. ليس ثمة سؤال لماذا رضي العقل العربي بالبيان وهرب من البرهان، رغم كل الادلة

الواضحة على الإمامة، والتي هي متوفرة بأيدينا رغم كل عمليات القمع والتشويه؟!

ولا يكون التركيز إلا على كشف عورات الفكر الشيعي أو التاريخ الشيعي كما لدى علي الوردي وجواد علي. أو تكبير الصغير وتصغير الكبير كما لدى احمد امين الذي يكتفي في «ضحى الإسلام» بترجمة الإمام الصادق بسطر ونصف، والسعي وراء تحويل التشيع جيباً خارجياً، بينما يتم الحديث عن الفرق والعقائد التي تربت في حضن الأجنبي وترعرعت في معاهده ومدارسه، بمئات الصفحات. أو اهمال هادي العلوي لكل نصوص الإمام علي والإمام السجاد والبحث في بيداء الأرض عن نصف كلمة هنا أو هناك، كما في كتابه «مدارات صوفية». أو ترك أهل البيت الذين هم التراث المشترك بين معسكريّ الامة، والدعوة إلى تحسين صورة المشبوهين في التاريخ، كما فعل حسن العلوي في كتاب عمر والتشيع، وآخرين كثر إذ القائمة تطول، وقد تعرضنا إلى كل ذلك بدراسة مفصلة في بحوث متفرقة.

وبينما يجعل أحمد الكاتب في كتاب «تطور الفكر السياسي الشيعي»، أو في كتابه الآخر «التشيع السياسي والتشيع الديني»، الجانب السياسي هو معيار التطور في الفكر، وبالتالي يكون الفكر الشيعي القديم متخلفاً لكونه يعتزل السياسة، فإنه يعود ويرتد حينما يبلغ الفكر الشيعي نظرية في الدولة على يد ولاية الفقيه، فيكون فكراً متخلفاً أيضاً، فكأن الفكر الشيعي لا يكون جديراً بالمدح إلا حينما يلتحق بغيره أو يتم شطبه كلياً. كما يتمنى عبد المنعم الحفني الذي تصل الامور عنده إلى حالة من العصاب النفسي يمكن معالجته بكافة الموسوعات النفسية التي جمعها وترجمها، حيث إن كرهه للشيعة ولعلي بن أبي طالب لا يمكن مقارنته إلا بكتاب وفقهاء السلاطين في زمن الحكم الأموي فقط، خصوصاً ما جاء في كتابه الهذياني «موسوعة عائشة» وكتابه الاعوراري «موسوعة الفرق الشيعية»، حيث لا يمكن أن يتم فهم ما جاء فيهما من أكاذيب وتضليل وشتائم، من قبل رجل حامل شهادة الدكتوراه ومؤلفاته تجاوزت المئة والستين كتاباً ويعد نفسه أحد أقطاب المتصوفة والعرفانيين، إلا عبر إدخال

الكتاب وكاتبه الى العيادة النفسية وبيان ما يفعله العصاب النفسي وقوة الموروث المذهبي الذي لا يزال هو البنية التحتية لتكوين العقل العربي وطرق تشكيل الخطاب فيه. وبالتالي ندرك حجم التزوير الثقافي الذي لا فرق فيه بين الكتابات الدينية التي يكتبها المعممون أو رجال المؤسسات الدينية وهواتها، وبين الكتابات الثقافية التي يدجنها أصحاب الشهادات الاكاديمية والمتشبهين بهم، وبالتالي ندرك فحوى المشهد الحضاري وحقيقة النهضة العربية وخطابها على ماذا ابتدأ وكيف انتهى، بمن انشغل ولأي شيء سكت وعلى مَن تحايل؟!

هكذا ينتهي الفكر النقدي إلى أصولية ثقافية تتعدد اقنعتها لكنها تلتزم بوجهها المذهبي الواحد المشترك.

مضمرات الخطاب الثقافي في نفي الطائفية:

إن رفض الاستماع إلى مدرسة أهل البيت ورفضها بشكل استباقي، واتخاذ موقف شبيه بمقولة القرآن عن الذين يغشون رؤوسهم بثيابهم، فهو له اسباب عديدة ومختلفة، من

جنس ودين وقومية ومنافع اقتصادية ونرجسيات مناطقية وجغرافية ومخلفات عصور الانتكاس الوطني وفترات الاحتلال الاجنبي، تتشابك كي تعطي موقفاً عنصرياً من الماضي. بجعله حقيقة منجزة ونهائية، وبجعله إرثاً حكرياً لملة من الملل ومذهب من المذاهب ينطق به شيوخ دول معينة دون غيرها. وعند تعاقب الهزائم يتحول مذهب معين أو عدد محدود من المذاهب والعقائد، مشجب الامنيات والاحلام، لذا فكل كسر لهذه الصورة الذهبية لمذهب الاكثرية وعقيدتها، هو بمثابة كسر القشة الاخيرة التي تتعلق بها الأمة الكسيرة وشعوبها، حتى بات الدفاع الهستيري عن الصورة الذهنية للصحابة والخلفاء، يشكل الحرب الاخيرة التي لا بد فيها من النصر الدائم ولو كان يعني هذا الانتصار والتفوق، هو استمرار ودعم لثقافة مزورة وتاريخ لا وجود له.. بمعنى ان الأمة باتت تهرب من هزائمها المتعاقبة المتحققة وقعاً، إلى التمسك بانتصار خيالي يعني بالتحديد انتصار الوهم عليها!.

إذ ان الوعي العربي الحديث ابتنى على أربع صدمات:

١- صدمة الاستعمار وانهيار الامبراطورية العثمانية.

٢- صدمة نكبة حزيران وخسارة العرب أمام إسرائيل خصوصاً عام ١٩٦٧.

٣- صدمة انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

٤- صدمة سقوط النظام البعثي في بغداد وانهيار الخطاب القومي.

كل هذه الصدمات كانت مسبوقة بمشاريع قومية وعلمانية شمولية عنيفة.ثم بعد الصدمة ترتد على شكل خطاب ديني اصولي طائفي وعلى الحالين يبقى منطق الفرقة الناجية هو السائد.. النجاة المقصودة التي تكون منضوية تحت رايات الدم القديمة، حيث يمارس المثقف وراثة وعاظ السلاطين القديم.

طبعاً هنا يتم إلغاء التساؤل المبدئي: أليس من الممكن ان يكون هذا الاصرار على تاريخ الوهم، هو احد اسباب تكرر النكبة؟!

هذا يعني وضع عقيدة الاكثرية تحت الاضواء الكاشفة،

واعادة الاعتبار للمذاهب الاخرى التي لا زالت حبيسة زنزانة التعذيب من قبل سلطة رجال الدين وسلاطينهم. وهنا يقال ان أي كشف كهذا واي اعتراف كهذا هو حديث مذهبي، طائفي ينبغي للمثقف تجنبه، حتى لو كانت الخطوة الأولى للديمقراطية والنقد العقلي والاصلاح والمجتمع المدني تبدأ منها. وإلا أية قيمة لانخراط بعضنا في حوار الاديان في مؤتمرات الدول الاجنبية البعيدة، وهو يحارب أي نوع من الاعتراف بوجود مذاهب أخرى قرب داره وبين يديه؟!

ثم أي نوع من مزاولة النقاش حول ما بعد الحداثة، ونحن حتى الآن لم نبلغ مرحلة الاعتراف المذهبي، فضلاً عن الاصلاح الديني؟!.

أليس الاشتغال بهكذا ابحاث هو نوع من التعمية والتستر والانصراف عن محنة المذاهب الاخرى؟!.

فكثيراً ما يجري دعم الطائفية وحكوماتها ومؤسساتها من خلال الانصراف عن الحديث والانشغال بأمور اخرى، وكأن الكلام هو عن مذاهب بائدة وعقائد فرضية لا وجود لمعتنقيها على الارض. بعد كافة انواع الهروب الكتابية يكثر الحديث

عن مسؤولية المثقف، ومن قبل ذات الاشخاص المتهربين أو المترفعين، ذاتهم!.

لسنا هنا نبتغي المزايدة بين مذهب وآخر، أو عقيدة واخرى، وانما نحن ندافع عن قضية شرعية دوام الاجتهاد، والايمان بضرورة البحث والنظر، لذا نحن حينما نرفض مذاهب ما، لا نرفضها لذاتها، وانما لكونها تمانع عن فتح الاجتهاد، وتصر على طمر العقل والتفكير. والا فكل مذهب يحمل جانباً ميتاً بفعل الزمن أو بفعل تراكم الهوامش الشعبية والاسقاطات النفسية، التي تتعلق بالمذهب، أي مذهب كان، بفعل عوامل الزمن وسيرورة التاريخ وصراعات المجتمع.

حينما غيبت الأمة أبطالها الحقيقيين راحت تستعيض عنهم بتمجيد الطواغيت، بات الجلاد هو ممثل الأمة والوحدة الوطنية، بعدما كان يطرح سابقاً بأنه خليفة النبي وحارس الشريعة. وكم نحتاج اليوم إلى الاعتراف بأبطالنا الحقيقيين الذين لم يربحوا باسم الدين والفتوحات الذهب الذي يكسر بالفؤوس والجواري اللواتي بلا عدد. كم يحتاج شبابنا في زمن الحصار والتسيب هذا إلى نموذج كالحسين

يعيدون به نار المسؤولية والضمير إلى اجسادهم التي جمدتها العولمة واسلاكها واجهزتها وأفلامها ومسلسلاتها وابطال سينماتها التي تزيد من أزمة الازدواجية والسقوط في أحلام اليقظة.

فالحسين يمثل النموذج النقيض، نقيض السلطة القائمة في الحاضر، ونقيض التاريخ المزور الموروث في الماضي. فالنموذج الحسيني هو خطاب التضحية والفداء والعطاء قضاء على ذهنية التقهقر واليأس والمجانية والاستسلام لبؤس الراهن والمؤسسات الساهرة على ادامته وتكراره. نحن نحتاج الحسين اليوم من اجل القضاء على مؤسسة ثأر القبيلة ودولتها ومجتمعها، إلى الانتقال إلى ثأر الله، قوة الانسان بمطلقيته غير المقيدة العبودية لأحد.

المثقف العربي وانحيازات التأثر بالغرب:

كم كتب عن الإمام الحسين.. وكم عدد الذين تأثروا به، وكيف تكونت السياقات الفلسفية والعرفانية والادبية، بعد مقتل الحسين؟!

سؤال يستحق ان يوضع فيه مؤلف مستقل وبحث متكامل. لكن لنقرأ على عجل بعض شذرات عن هذا التأثر الكبير:

يقول مفتي حلب الاكبر الشيخ احمد بدر الدين الحسون:

«يوم عاشوراء هو يوم تجدد المواقف بين الحق والباطل انتصر اللّٰه فيه بالحق على الباطل بموسى على فرعون وبالحسين على يزيد وهو فرعون هذه الأمة»

وفي تصريح استثنائي ومذهل قال مفتي الجمهورية السورية الشيخ أحمد حسونة:

«عشرات السنين وانا على مقعد الدراسة لم أسمع لأستاذ لي أن يوم عاشوراء كان فيه مأساة الأمة الإسلامية.. لماذا كانوا يخفون عنا ذلك سامحهم اللّٰه.. قالوا ذلك خوفاً من أن تتأثر فتتشيع.. هل تُخبأ الحقائق خوفاً من المذاهب؟! هل نكتم الحقيقة حتى لا نقوي مذهباً على مذهب؟! دعوني من ذلك أيها السادة فقد مضى زمان يستعمل فيه الدين متكأ لسياسة الأشخاص وقد مضى الزمن الذي يستغله من سمي

بأمير المؤمنين ظلماً ليعيث في الأرض فساداً عشرات السنين.. فما أمير المؤمنين إلا رجل أقام ميزان الحق عليه أولاً، وتوطن بالشريعة ثانياً، ووضع ميزان الإسلام عليه وعلى أسرته ثالثاً، فهذا أمير المؤمنين، إما أن يكون أميراً ببيعة تؤخذ قهراً، أو بانتخاب يؤخذ تزويراً ورشوة، فهذا ليس أميراً لأحد، إنما أمير لهواه ونفسه وشهواته. حقيقة يجب أن أعلنها»

ونقرأ لسليمان كتاني:

«لم تكن مسيرة الحسين عليه السلام غير ثورة في الروح لم تِرض بسيادة الغيّ والجهل والغباء.

- ما أروع الحسين في جهازه النفسي المتين، يتلقط بكل حدث من الأحداث التي دارت بها أيامه، ليصوغ من احتكاكها الشرارة الأصلية التي تدفأ بها ضلوع الأمة وهي تمشي دروبها في ليالي الصقيع».

في تصريح شهير يقول الزعيم الهندي المهاتما غاندي:

«أنا هندوسي بالولادة، ومع ذلك فلست أعرف كثيراً من الهندوسية، واني أعزم أن أقوم بدراسة دقيقة لديانتي نفسها وبدراسة سائر الأديان على قدر

طاقتي... لقد تناقشت مع بعض الأصدقاء المسلمين وشعرت بأنني كنت أطمع في أن أكون صديقاً صدوقاً للمسلمين. وبعد دراسة عميقة لسائر الأديان عرف الإسلام بشخصية الإمام الحسين وخاطب الشعب الهندي.. على الهند إذا أرادت أن تنتصر فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين. وهكذا تأثر محرر الهند بشخصية الإمام الحسين تأثراً حقيقياً وعرف أن الإمام الحسين مدرسة الحياة الكريمة ورمز المسلم القرآني وقدوة الأخلاق الإنسانية وقيمها ومقياس الحق.. لقد تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر».

يقول الرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس توندون، وهو هندوسي العقيدة:

«هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام».

يقدم شيخ المستشرقين وأدقهم عمقاً الفرنسي لويس ماسينيون، تعريفاً دقيقاً للحسين كقضية حساسة في تكوين

الرسالة الإسلامية والمحافظة على جوهرها الاولي الخالص، فيقول:

«أخذ الحسين على عاتقه مصير الروح الإسلامية، وقتل في سبيل العدل بكربلاء».

وعلى ذات المنوال يحدد عالم الآثار الانكليزي وليم لوفتس نهضة الإمام الحسين:

«لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة».

ونقرأ للمستشرق الأميركي فيليب حتي:

«أصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي وهو العاشر من محرم يوم حداد ونواح عند المسلمين ففي مثل هذا اليوم من كل عام تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثأر الحسين صيحة الاستنفار في مناهضة الظلم».

ويخبرنا مستشرق اميركي آخر هو غوستاف غرونييام:

«الكتب المؤلفة في مقتل الحسين تعبر عن عواطف

وانفعالات طالما خبرتها بنفس العنف أجيال من الناس قبل ذلك بقرون عديدة. ان واقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أيّة شخصية مسلمة أخرى».

وتقول الكاتبة الإنكليزية فريا ستارك:

«إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في العشرة الأولى من محرم كلها على مسافة غير بعيدة من كربلاء جعجع الحسين إلى جهة البادية، وظل يتجول حتى نزل في كربلاء وهناك نصب مخيمه، بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس إلى يومنا هذا كما كانت قبل ١٢٥٧ سنة وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة ان يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا استطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء».

ويصرح المؤرخ الإنكليزي السيد برسي سايكس:

« إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا».

وتأتي كلمة الكاتب الإنكليزي توماس لايل، واضحة وجلية وبالغة التأثر:

« لم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس.. فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأني توصلت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزا العالم هزاً. فيما لو وجّها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين».

وللباحث الإنكليزي، جون أشر، كلمة معروفة:

«إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي».

ويقول موريس دوكابري:

«يقال في مجالس العزاء إن الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة».

فيما يقول توماس ماساريك:

«على الرغم من أن القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح، إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم».

المستشرق الإنجليزي ادوار دبروان، يقول:

«وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها».

الكاتب الإنجليزي المعروف كارلس السير برسي، يذكر:

«إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام».

المستشرق الإنجليزي السير برسي سايكوس:

«حقاً إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد».

وتقدم الباحثة الإنكليزية. أ.س ستيفينس، شهادتها:

«على مقربة من مدينة كربلاء حاصر هراطقة يزيد ابن معاوية وجنده الحسين بن علي ومنعوا عنه الماء ثم أجهزوا عليه، انها أفجع مآسي الإسلام طراً. جاء الحسين إلى العراق عبر الصحراء ومعه منظومة زاهرة من أهل البيت وبعض مناصريه، وكان أعداء الحسين كثر، وقطعوا عليه وعلى مناصريه مورد الماء واستشهد الحسين ومن معه في مشهد كربلاء، وأصبح منذ ذلك

اليوم مبكى القوم وموطن الذكرى المؤلمة كما غـدت تربته مقدسة. وتنسب الروايات المتواترة إلى أن الـشمر قتل الحسين لذا تصب عليه اللعنات دوماً وعلى كـل من قاد القوات الأموية ضد شهداء كربلاء، فالشمر صنو الشيطان في الإثم والعدوان من غير منازع».

وبوثاقة نفس خبيرة يقول العالم الانثروبولوجي الأميركي، كارلتون كون:

«إن مأساة مصرع الحسين بن علي تشكل أساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة».

وفـي قـراءة للعـالم الإيطـالي، الـدو ميلـي، نجـد هـذه السطور:

«نشبت معركة كربلاء التي قتل فيها الحـسين بـن علي، وخلفت وراءها فتنة عميقة الأثر، وعرضت الأسرة الأموية في مظهر سيئ، ولم يكن هناك ما يـستطيع أن يحجب آثار السخط العميق في نفوس القسم الأعظـم من المسلمين على السلالة الأموية والشك في شـرعية ولايتهم».

المستشرق الهنغاري أجناس غولد تسيهر:

«قام بين الحسين بن علي والغاصب الأموي نزاع دام، وقد زودت ساحة كربلاء تاريخ الإسلام بعدد كبير من الشهداء.. اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهراً عاطفياً».

وبعد جهد في البحث والمقارنة يقول الاستاذ لبيب بيضون:

«ما أظن أن إنساناً في مسرح التاريخ والبطولة، استطاع أو يستطيع أن تكون له مثل هذه الكفاءات العالية، والمواهب الفريدة النادرة.. غير الإمام الحسين عليه السلام ليمثل هذا الدور الجوهري الخطير في قيادة حركة الإيمان وإحياء دعوة الإسلام.

إن دروس الحسين عليه السلام دروس عميقة بالغة الأثر والتأثير، تعلمنا، إضافة لدروس التضحية والبطولة والفداء أن ننظر إلى الأمور نظرة بعيدة مديدة، عميقة محيطة مترامية، فيكون جهادنا وفداؤنا قرباناً للأجيال المتحدرة والأحقاب المتلاحقة، لا أن يكون قرباناً عابراً، يستهدف اللحظة الراهنة».

ونقرأ في كلمة الاهداء لمسرحية الحسين ثائراً وشهيداً، للاديب عبدالرحمن الشرقاوي:

إلى ذكرى أمي التي علمتني منذ طفولتي أن أحب الحسين عليه السلام، ذلك الحب الحزين الذي يخالطه الإعجاب والإكبار والشجن، ويثير في النفس أسى غامضاً، وحنيناً خارقاً للعدل والحرية والإخاء وأحلام الخلاص»

ويحدثنا الباحث المحقق صائب عبدالحميد عن سبب تحوله الروحي والثقافي:

«مع الحسين، مصباح الهدى، كانت البداية ومع الحسين سفينة النجاة كان الشروع. بداية لم اقصدها أنا، وإنما هي التي قصدتني، فوفقني الله لحسن استقبالها، وأخذ بيدي إلى عتباتها.. ذلك كان يوم ملك علي مسامعي صوت شجي، ربما كان قد طرقها من قبل كثيراً فأغضت عنه، ومالت بطرفها وأسدلت دونه ستائرها، واعصت عليه.

حتى دعاني هذه المرة وأنا في خلوة، أو شبهها، فاهتزت له مشاعري ومنحته كل إحساسي وعواطفي،

من حيث أدري ولا أدري. فجـذبني اليـه.. تتبـادلني أمواجه الهادرة.. وألسنة لهيبه المتطايرة.. حتى ذابـت كبريائي بين يديه، وانصاع له عتوي عليه.فرحت معـه، اعيش الاحداث، وأذوب فيها.. أسـير مـع الـراحلين، وأحط إذا حطوا، واتابع الخطى حتى النهاية..

تلك كانت قصة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوت الـشيخ عبد الزهراء الكعبي يرحمه الله، في العاشر من محـرم الحـرام من ١٤٠٢ للهجرة. فأصغيت عنده أيّما إصغاء لنداءات الإمـام الحسين.. وترتعد جوارحي.. لبيك يا سيدي يابن رسول الله.. وتنطلق في ذهنـي أسـئلة لا تكـاد تنتهـي، وكأنّـه نـور كـان محجوباً، فانبعث يشق الفضاء الرحيب دفعةً واحـدة.. وتعـود بي الافكار إلى سنين خلت، وأنا ادرج على سلّم الدرس، لـم أشذ فيها عن معلّمي، فقلت: ليتني سمعت إذ ذاك مـا يـروي ظمئي.. ثم أنت يا حلق الوعظ، ويا خطب الجمع ويا بيوتات الدين، أين انت من هذا البحر اللامتناهي؟! وأيـن أنـتِ أيتهـا الدنيا؟! وعلى أي فلك تجـري أيهـا التـاريخ؟! ألا تخـشى ان يحاكمك الأحرار يوماً؟

عتاب لاذع، وأسئلة لا تنتهي، والناس منها على طرق شتى.. عدت مع هذه الواقعة إلى الوراء.. فإذا الناس من حينها كحالهم الآن، فهم بين من حمل الحسين مبدأً، وتمسك به إماماً وأسوة. ودليلاً إلى طريق الفلاح، فوضع نفسه وبنيه دون أن يمس الحسين، وبين من حمل رأس الحسين هدية إلى يزيد!! وبين هذا وذاك منازل شتى في القرب والبعد من معالم الحسين.. واشياء اخرى تطول، فقد استضاءت الدنيا كلها من حولي، وبدت لي شاخصة معالم الطريق».

ويحدثنا المحامي الأردني، أحمد حسين يعقوب:

«دمعت عيناي على الحسين عليه السلام فقادني جرحي النازف إلى التشييع».

ونقرأ كلمة الصحافي المغربي، إدريس الحسيني:

« لقد شيعني الحسين عليه السلام حقيقة، لأنه وضعني على عتبة التشيع، وأتمنى أن يشيعني مرة ثانية، لينطلق بي إلى الفضاءات الأوسع في عالم التشيع».

وفي كتاب استحق الثناء من قبل كبار الفقهاء والمؤرخين

اعني كتاب الباحث أنطون بارا، الحسين في الفكر المسيحي، نقرأ:

«واقعة كربلاء لم تكن موقعة عسكرية انتهت بانتصار وانكسار بل كانت رمزاً لموقف أسمى لا دخل له بالصراع بين القوة والضعف، بين العضلات والرماح بقدر ما كانت صراعاً بين الشك والإيمان وبين الحق والظلم.

آثر الحسين عليه السلام صلاح أمة جدّه الإنسانية الهادية بالحق العادلة به على حياته، فكان في عاشوراء رمزاً لضمير الأديان على مر العصور.

لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين».

الكاتب والأديب المسيحي الكبير جورج جرداق، يقول:

«حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، وكانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً».

يقول الدكتور بولس الحلو:

«الحالة الحسينية ليست مقتصرة على الشيعة فحسب، إنما هي عامة وشاملة ولهذا فإننا نجد أن ارتباط الثورة الحسينية بمبدأ مقارعة الظلم جعلها قريبة جداً من الإنسان، أيّاً كانت ديانته وعقيدته لأنه ما دام هناك ظالم ومظلوم فلا بد أن يكون هناك يزيد والحسين كرمزين أساسيين لكل من الجهتين».

السؤال الملح الآن: إذا كان المثقف العربي متأثراً إلى درجة المحاكاة بالغرب فلماذا لم يتأثر باعترافهم بالامام الحسين ونهضته؟! لماذا كان هذا التأثر، تأثراً منقوصاً من هذه الزاوية بالذات لا غير؟!

جاء في صحيفة الزمان العراقية بتاريخ ٢٠٠٩/٦/١:

«ويحيي الشيعة واقعة الطف حيث قتل الإمام الحسين مع عدد من افراد عائلته العام ٦٨٠ ميلادية، باعتباره اكثر الاحداث مأساوية في تاريخهم».

والخبر نموذج للسان الاعلام العربي في كل عام. فالذي يحيي قضية الحسين مذهب من المذاهب وليس المسلمين.

وتاريخ مقتل الإمام الحسين هو جزء من تاريخ مذهب معين «تاريخهم» وليس جزءاً من التاريخ الإسلامي والعربي عموماً. أي إقصاء ابلغ من هذا؟!

لماذا غاب الإمام الحسين عن الوعي التاريخي الإسلامي والعربي، رغم ان منزلته معروفة في جميع كتب الحديث والتاريخ؟!

قال رسول الله ﷺ: (أحب الله من أحب حسيناً) هذا ما أخرجه كل من الترمذي واحمد بن حنبل وابن أبي شيبة والحاكم الحسكاني في المستدرك والبخاري في الأدب عن يعلى بن مرة. ويروي لنا ابن عساكر تلك العلاقة الوثيقة بين النبي وبين الحسين وصلة الشبه بينهما، اذن كيف كانت جريمة قتله سهلت على أولئك الجيش الاموي؟!

جواب هذه الاسئلة القديمة، هو ذاته الجواب على اسئلتنا المعاصرة، كيف يكون الحديث عن ابن رسول الله وقضيته، مسألة طائفية يجب التستر عليها، سواء في بحث التاريخ أو الفقه أو الأدب أو النقد؟!

مقاومة بؤس الراهن بين السلطان والقرآن:

من الأمور المتناقضة بين منطق السلطان ومنطق القرآن، ان السلطان يعمد إلى إشاعة ثقافة الرضا والجمود بتقبل الواقع بما هو عليه. بينما يعمد القرآن إلى اشاعة ثقافة التغيير والتحرك.

هناك فروقات كثيرة بين منطق السلطان وبين منطق القرآن والذي يهمنا منها هنا هي كالتالي:

١- السلطان يتحرك بالغرائز، ويشيع ثقافة الشهوات رغم انه يقمع الانانيات في نفس الوقت والآن. والقرآن يدعو إلى الحركية والقانون والشريعة وضبط النفس.

٢- منطق السلطان ان الحياة هي للأقوى، بينما منطق القرآن أن الحياة هي للاعلم والاتقى.

٣- يعتمد السلطان على آلية التكرار وتجميد الراهن، بينما يطمح القرآن إلى الاستثناء. السلطان يريد اتباعاً، والقرآن يريد ابطالاً.

٤- منطق السلطان هو دائماً ضد الثقة بالنفس في

القرارات المستقلة. فكل شيء يكسوه السلطان بكساء الثقة يكون ممكناً ومنطقياً وواقعياً. وكل شيء يتنافى مع السلطان وفقهائه ورجالات وعظه وقنوات أعلامه، يكون مستحيلاً. بينما يحرص القرآن على تنمية الثقة كخطوة اولى في كل شيء حتى فيما يتعلق بالايمان بالقرآن نفسه. لذا كان القرآن يحث مخاطبيه إلى الرجوع إلى انفسهم وتفحص الآيات القرآنية ودعوة النبي وأيهما على حق وصواب، فكان يكرر على لسان النبي ﷺ أنا وإياكم على هدى أو ضلال.

٥- منطق السلطان هو ضد شحذ الطاقات وافساح المجال الحر لنموها وتطورها الذاتي. بينما منطق القرآن هو صنع الهمة والحفاظ على مبدأ الحرارة والحماس. هذا ما نجده في تنظيمه الصوتي في الآيات من ناحية الشكل. وفي إصراره وتأكيده على مبدأ التوبة وانها باب مفتوح، والتحذير من اليأس والقنوط وعدها من اكبر الكبائر.

٦- يحرص السلطان على التكّيف، ويحرص القرآن على التكليف. يبحث السلطان عن وسائل إغراء او ترهيب او

تزوير او تثبيط، من أجل الإبقاء على ما هو ماثل وواقع وكائن. فيما يحرص على القرآن على ما يجب أن يكون، على التغيير.. التغيير المسؤول المنبثق عن تفكر وحرية واختيار. صورة يمكن أن نتمعن فيها أكثر لو تأملنا الإمام الحسين والسيدة زينب كيف حرصا على الصلاة حتى اللحظات الأخيرة من الحياة .

السلطان يغري بالإعفاء والهبات، لذا فهو يخلق مجتمعاً متملقاً. القرآن يطرح الإنسان المكلف لذا فهو يريد مجتمعاً مكافحاً.

إذ يتحدد الانسان بالاختيار، يكون الاختيار والطموح نحو التغيير والتجدد هو المنزلة التي يفترق فيها الانسان عن بقية الحيوانات التي تدور في فلك الراهن وفي اغلال الغرائز. فالحرية والاختيار والتجدد ليست صفات للإنسان وإنما هي شروط وجوده ذاته.

بهذا قالوا ان مصطلح «إنسان» لا يشير إلى شكل الكائن الحي، وإنما المصطلح يرمز إلى الطبيعة الخاصة التي تضمحل فيها الغرائز، وينبثق عندها سلوك اختياري خاص بالكائن

نفسه. وعليه فإذا لم تتوفر هذه الشروط فإن الكائن بغض النظر عن شكله الخارجي والمصطلح الذي قد يطلقه العوام بشكل خاطئ أو اشتباهاً أو تعنتاً، هو مجرد حيوان من الحيوانات ولا يستحق اطلاق مصطلح انسان عليه إلا من باب المسامحة والمجاز.

ومن الواضح هنا ان القضية لا تخص نوع السلوك لشروط الاتصاف، بل تخص مصدره وحده. إذا صدر السلوك بالاختيار فهو سلوك إنساني.وإذا صدر بالتكرار فهو ليس سلوكاً إنسانياً بغض النظر عن بقية القيم.

بمعنى ان التكرار هنا ليس مضراً أو نافعاً، وانما هو فقط يقع في منطقة مختلفة لا علاقة لها بمعنى «إنسان». كما ان الاختيار ليس مضراً أو نافعاً لكنه الحل الممكن الوحيد لإتاحة فرصة الخروج من منطقة التكرار. سواء اختار الانسان ان يكرر سلوكه أو ان يخلق نمطاً جديداً (سنقرأ في الزيارة ان بعض العبارات متجددة وبعضها متكررة بين المقاطع، وبعضها يجب تكرارها مئة مرة بشكل مباشر). فالقضية ليست قضية المضر والنافع وإنما قضية طبيعة انسانية الانسان، وطبيعة

اخرى غير انسانية مختلفة وان تقنعت بذات المصطلح. وعليه من الممكن جداً خلق وايجاد فرد أو مجتمع نافع، لكن مع ذلك يبقى هذا الفرد أو هذا المجتمع غير انساني، وإنما فرد ومجتمع حيواني مُدجّن.

من هنا تأتي اهمية تفكيك التركيبة الثقافية والقاعدة الذهنية الموروثة أو السائدة. والتي على اساسها يُقسّم القرآن بين الانسان الحي والانسان الميت، الانسان الحقيقي والانسان الحامل للتسمية فقط[1].

ومن هنا تتفرع مسألة أخطر وهي مسألة الشهادة. فالشهادة بمعناها الايجابي بكونها صفة انسانوية. فإذا كان الخير لدى الحيوان معناه البقاء حياً. فإن الانسان المحقق لإنسانيته لايرى الحياة في دائرة الغريزة، لذا يطلب سمواً عليها ويتجاوزها. بخلاف المعنى السلبي للشهادة التي تقع في ضمن قاموس الارهاب والتكفير وخطاب الكراهية والفرار من مواجهة المسؤولية والواقع. حيث انها تنطلق من قواعد رافضة

---

(١) راجع، الصادق النهيوم، نقاش ص١٧، الطبعة الثانية، دار الانتشار العربي.

للبحث والكلام والتفكير والنقد والنظر، لذا فهي ضد طبيعة الاختيار ومعلوم بحسب قواعد علم النفس ان كل ما ينصدم مع فطرة الانسان فإنه يؤدي إلى التحجر والجمود والعصبية وخلق الاصنام الذهنية التي لا فكاك منها.

اذا كانت الشهادة بمعناها ومستواها الايجابي، تعني التحرك المختار المحقق لإنسانوية الانسان، فإن الشهادة بمعناها السلبي هي إلغاء للحرية وبالتالي وضع الاغلال في عنق الكائن البشري بغية تحويله إلى جماد، الذي هو عقل معطل أو هو الموت نفسه.

من هنا نجد أن فرقاً بين الشهادة التي طرحها الإمام الحسين وبين الشهادة الاخرى والتي تارة ترفع راية البغض للحسين وأهل البيت، وتارة تتخذ من الحسين شعاراً لها. الإمام الحسين كان يصر منذ بداية خروجه من المدينة وحتى ليلة العاشر من محرم على اعطاء فرصة للذين معه ان ينجوا بأنفسهم، كان لا يريد شهادة غير قائمة على الاختيار. أما الطرح الآخر للشهادة فهو قائم على الاكراه. ترى جند

المقاومة والجهاد، وغيرها من التسميات الفارغة من المسمى، تجبر المجتمع والناس ان يموتوا من اجل شهادتها (كما حصل في العراق ٢٠٠٤ - ٢٠٠٨، وفي بيروت عام ٢٠٠٧ وفي غزة بداية ٢٠٠٩)، وفي أكثر الأحيان لا يموت هولاء المقاومون والمجاهدون وانما هم جيوب انتفاعية وتجارية، اما الذي يموت فهم اناس يطلق عليه اسم الشهيد بالاكراه. معنى ان الشهادة عمل عبادي أحد شروطه النية!.

ومن هنا تأتي اهمية زيارة عاشوراء ليس لفضح استبداد الحكومات فقط، انما من اجل فضح استبداد الثوار ايضاً، ليس فضح السلاطين وانما فضح المعارضة كذلك.

طعن المطعون، محاولة طمس الزيارة:

رغم ان زيارة عاشوراء من اشهر الزيارات وأمتنها سنداً وأظهرها دلالة. إذ لانعرف مفردة فيها غير موجودة في بقية الزيارات أو جملة تخالف القرآن أو القواعد الكلية لأهل البيت، لكن مع ذلك وصلت حملة التشويه والتشكيك والتهوين اليها. فتارة يتم طعن سندها وتارة يتم الهجوم على

بعض جملها خصوصاً مفردات لعن الظالمين ومؤسسي الانحراف في هذه الامة.

وهذه الحملة هي حلقة من سلسلة طويلة طولها بطول التاريخ العربي نفسه. فسبق ان حاول ابن حزم وسواه من قلب الحقيقة وذبحها من القفا فجعل الحسين خارجاً على إمام زمانه، بدون التساؤل وأي إمام واجب الطاعة هذا المسمى بيزيد؟! ومن هو الصحابي وابن رسول الله الحسين أم يزيد، وكيف لم يجر هنا التمسك بقاعدة الصحابة وتقديسهم هنا؟!

وتارة بمقارنة ملحمة عاشوراء بفكر اسطوري قديم ومن باب المثال نتقل هذا النص الطويل كنموذج لهذا الاسلوب:

«وهي [أي الديانة الرافدينية] من أقدم الديانات في العالم تعود جذورها إلى الألف الثامنة أو التاسعة قبل الميلاد مرت على ما يرجح بعدة مراحل أولها العبادة الأنثوية (عبادة الآلهة الأم) التي واكبت مرحلة اكتشاف الزراعة أي ارتبطت بالحاجة إلى توفير الرزق وإدامة الخير أي أضافت وظيفة

جديدة غير وظيفة الحماية المرتبطة بفكـرة الطـوطم البدائيـة وربما نـستطيع أن نحيـل إلـى هـذه الفتـرة بعـض الأسـاطير والمعتقدات الدينية الرافدينية كقصة نزول اينانا (عشتار) إلـى العالم الأسفل وفكرة خلق الإنسان بطريقة الزرع تشبيهاً بعملية الزراعة ولعل هذا مما يـشير إلـى هيمنـة المـرأة فـي الحيـاة الاجتماعية حيث كانت تمثـل الخـصب والنمـاء وهـي التـي تمارس مختلف الأعمال وتتزعم العائلـة أو المجموعـة ومـن مخلفات هذه الفترة وجود منصب الكاهنـة العليـا لمعبـد (أي ننا) في أوروك وأخيراً حصل تطور كبيـر نـتج عنـه الإطاحـة برمز الألوهية الأنثوي الذي ربما نتج بتأثير غزو خارجي ربمـا من شعب جبلـي أو بـدوي أو أن ظـروف الإنتـاج الجديـدة فرضت ذلك خصوصاً بعد بروز الحاجة لتأسيس أولى الـنظم السياسية ويبدو انه تم توثيق أصـداء ذلـك مـن خـلال قـصة الخليقة البابلية التي أشارت إلى الإطاحة بحكـم الآلهـة تيامـة وتحول السلطة إلى الثالوث المقدس (انو، انليل، أيـا) وعلـى إثرها أو في التزامن معها شاعت العبادة الثلاثية في أكثـر مـن مكان من العالم القديم وفي هذه الفترة أيضاً بدأ عهـد جديـد

تمثل ببروز الصناعة البدائية صناعة جرار الفخار والأواني والحلي والمصوغات المعدنية والتماثيل، ويبدو أن هذا التطور هو الذي طرح فكرة الخلق فأصبح الإله لا يمتاز بصفة الحماية والمعاونة وحسب بل هو الخالق والراعي أيضاً لكن الديانة الرافدينية اتسمت بسمات أخرى أهمها إيمانها بأن كل شيء آيل إلى الفناء حتى الآلهة التي نتصورها خالدة هي وفق المفهوم الرافديني ليست خالدة تماماً لأنها مهددة بالفناء القادم من قوى الفوضى المتربصة والمجمدة لأن الإله (ابسو) زوج تيامة لم يمت بل جرى تخديره ثم سجنه تحت طبقات الأرض ليمثل المياه الجوفية وبالتالي بإمكان هذه القوى العودة لحكم الكون من جديد حيث ما زال (حسب المعتقد القديم) زئير ابسو يخرج من الأعماق على شكل زلازل واهتزازات أرضية ومن الدلائل على عدم خلود الآلهة الرافدينية وجود آلهة موتى في الموروث الرافديني ولذلك فالإله الرافديني لا يستطيع ضمان سلامتك على طول الخط فهناك شيء يبقى عصياً عليه ولذا فالإنسان لايستطيع أن يضمن جريان الأمور بشكل طبيعي فإن أمن إله ما لن يستطيع

أن يضمن جمع الآلهة التي بمقدورها جميعاً وليس إلهاً واحداً تقرير المصائر وان ضمن جمع الآلهة لن يستطيع أن يضمن القوى المتربصة التي لا تخضع لقانون الكون هذا الأمر جعل العراقي القديم لايؤمن بوجود حياة أخرى (جنة ونار) ولا يقدس البشر أيًا كانت وظيفتهم سواء كانوا ملوكاً أو رجال دين ولايثق بمساعدة الآلهة بشكل كلي والموت بالنسبة له هو نهاية حتمية ومطلقة يفنى بعده الجسد بتأثير عوامل الطبيعة وتذهب الروح إلى أرض اللاعودة (العالم الأسفل) لتبقى هناك سجينة إلى الأبد ولم يتغير جوهر هذا الدين طوال مسيرة حضارة وادي الرافدين وان جرت بعض التغييرات الشكلية بتأثير بعض الأقوام الوافدة، ومن المؤكد أن أول تأثير كان في مرحلة عصر فجر السلالات الأول من قبل قوم قد يكونون من الوافدين آمنوا بعودة الجسد حيث تشير المقبرة الملكية في أور إلى اعتقاد من هذا النوع لكن هذه الجماعة سرعان ما تخلت عن اعتقادها بسرعة ولم نجد مثيلاً له بعد ذلك ثم حصل تغيير آخر في عصر الدولة الاكدية عندما سن إله الملك نارام نفسه ربما بتأثير بعض الأقوام أو البلدان التي

أخضعها وقد أثار ذلك كهنة البلاد فأطاحوا به من خلال ثورة عارمة أشارت إلى أحداثها بعض النصوص المسمارية وحصل مثل ذلك في عهد شولكي ثاني ملوك سلالة أور الثالثة ولكن أهم تغيير هو الذي تمثل - من وجهة نظري - بظهور التفريد الذي اخضع جميع الآلهة لسلطة إله واحد هو الإله مردوخ إله مدينة بابل بعد أن استوت بابل عاصمة لإمبراطورية ذات آلهة كثيرة فهو محاولة يراد بها دعم السلطة السياسية أو هيمنة بابل على الأقاليم، ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يعدون التفريد العامل الأساس في ظهور الديانة اليهودية حيث ناظر اليهود بين إلههم والإله الأكبر وبين الملائكة وبين الآلهة الأقل شأناً في الديانة الرافدينية أما مخلفات هذه الديانة في عقلنا الديني فتتمثل ببعض الطقوس الحسينية أو الشيعية كإحياء عاشوراء الذي يماثل إحياء العراقيين لعيد الاكيتو الذي يستمر إحدى عشر يوماً وتلاوة قصة مصرع الحسين التي تماثل تلاوة قصة الخليقة البابلية وتمثيل عرس القاسم الذي يماثل طقس الزواج المقدس لدى العراقيين وفداء العباس لأخيه الحسين وبكاء الأخير عليه

الذي يماثل فداء انكيدو (أخ جلجامش بالتبني بعد إعـلان أم جلجامش أمومتها له) لجلجامش وجزع الأخير عليه ثم مفهوم التضحية الحسيني الـذي اقـرن بطقـس مـوت تمـوز وفرحـة الزهراء التي تماثل فرحة اينانا (عشتار أو الزهرة) بعودة تموز عند العراقيين القدماء هذا ناهيـك عـن طقـوس الحـزن التـي تماثل سمة الحزن لدى العراقيين القدماء النابعة مـن حيـاتهم الصعبة ومعاناتهم المختلفة وخير مثال على ذلك حـزن اينانـا (عشتار) على ثورها السماوي الذي قتله جلجامش إذ جمعت المتبتلات وبغايا المعبد وأقامت مناحة على فخذه الذي قذفه جلجامش عليها في سورة من غضبه»[(١)].

فهنا بدل أن تكون الاسطورة معيناً رمزياً لتحليـل وقـائع التاريخ يحصل العكس وذلك بتحويل التاريخ إلـى اسـطورة!. فهل لـو وجـدت شخـصية تـشبهني أتحـول أنـا إلـى وهـم، أوليست هذه سفسطة وانكار للواقعية؟!

يتم هنا مجافاة الواقع الخارجي وإلحاقه بالأدب المحض

---

(١) باسم محمد حبيب في مقال له تحت عنوان: قراءة في العقل الديني العراقي.

وكأن الدم الذي ساح هو مجرد تأمل ذهنـي أو نـص خيـالي. وهو نوع من الطرح يناقض أبسط قواعد المنهج والتفكير، ويبتعد عن الاستقراء وقانون الاحتمال بأكثر درجاته سذاجة، مع ذلك يتم عبر تجميع المعلومات وتراكمها قمع دلالة الحدث الكربلائي وتغطيته ومن ثم الخروج بصورة باردة تحول كل حماسة تأججت بنار العشق الحسيني إلى جثة مجمدة بالنصوص والتنظير البارد الخالي عن المسؤولية.

وتارة بتضخيم الاحداث (الحسين قتل كم ألف والعباس قتل كذا ألف) من أجل أن تبدو الحادثة غير واقعية وبالتالي إبعاد النفوس عنها. وتارة بتحويلها إلى مهرجان لخرافات شعبية أو وسائل بدائية للتنفيس عن عقد نفسية مثل التطبير والمشاعل وغير ذلك، من اجل تفريغ الملحمة الحسينية من بعدها الفكري فبدل التفكير بالمسؤولية تجاه الواقع يحصل الفرار باللطم والتطبير وتحشيد مظاهر لا أصل لها في روايات أهل البيت وسلوكهم.

وأخيراً محاولة ضرب مصادر اسانيد تواريخ الأمة ومن ذلك الضرب والتشكيك بهذه الزيارة. وحينما وجدوا ان الأمر

صعب فزيارة عاشوراء لايوجد فيها أي لفظ أو مفردة يمكن ان يفتعل حولها الصخب المعروف من الرمي بالغلو أو ما شابه كما هو حال الزيارة الجامعة الكبيرة، لذا تم التركيز على محاولة شطب بعض الفقرات من الزيارة. وهذا ما انزلق به حتى بعض الأجلاء كما هو حال الشيخ حسين الراضي في بحثه الموسوم «الوثائق الخطية لكشف التزوير في زيارة عاشوراء» تحت ذريعة ان بعض الفقرات سببت فتنة طائفية واريقت بسببها الدماء. يقول الشيخ حسين الراضي في مقدمة دراسته وتحت عنوان التفاعلات حول هذا المقطع:

«هذا المقطع من الزيارة الذي طالما أثار النقاش والنزاع بين الشيعة والسنة على مدى مئات السنين وأثار الفتن المذهبية بينهما حتى انتهت إلى الحروب الطاحنة وسفكت فيها الدماء وهتكت الأعراض وسلبت الأموال وتعمقت الخلافات والعداوات بين الطائفتين المسلمتين وإلى يومنا هذا».

ونحن عن صدق لا نعرف أي دماء سالت في يوم من الايام بسبب زيارة عاشوراء، وأية حروب ونزاعات حصلت بسبب هذا المقطع بالذات؟!.

كم اننا لا ندري هل الوظيفة الشرعية هي أن نحذف أي نص لا يرغب به المخالف لأهل البيت، أم ان الوظيفة هي التمسك بكل ما عليه الدليل؟!

وهل فعلاً أن هذا المقطع له كل هذا التأثير الصِّدامي العنيف بين المعسكرين؟!

وهل ينبغي اذن حذف النص الاكثر فتنة وهو نص الغدير مثلا إرضاءً لوحدة المسلمين المستحيلة؟!

ثم ماذا قدم المعسكر الآخر من الاقتراب إلينا وماذا قدم على صعيد الوحدة الإسلامية واي النصوص حذف وبأيها اعترف، وهل الوحدة تتحقق من طرف واحد فقط؟!

ولم يلاحظ الشيخ غفر الله له، بأن نفي هذه الفقرات لايعطي أي محصول. فالزيارة بأجمعها منساقة إلى هذه الفقرات بالذات فهي تقول سلم لمن سالمكم.. وبالبراءة من اعدائكم والناصبين لكم الحرب.. ممن اسس ذلك.. عدوٌّ لمن عاداكم.. هذا بالاضافة إلى اللعن الصريح لأبي سفيان ولمعاوية ويزيد، ولعن آل سفيان وآل مروان. ولأول من أسس الظلم

لأهل البيت وبنى عليه بنيانه، فـأي شـيء يقـدم حـذف فقـرة السلام الذي يكرر مئة مرة وفقرة اللعن الـذي يكـرر مئـة مـرة وفقرة «اللهم خص أنت أول ظالم مني»؟!

فهذه الفقرات في الحقيقة تلخـيص للزيـارة لا غيـر وإلا فالمعنى التفصيلي هو مجموع بقية نص الزيارة لـيس إلا. بـل زيارة عاشوراء بأجمعها هي شرح لمفردة اللعن بالذات.

ولقد أكد آية الله الشيخ محمد إسحاق الفياض في احـد استفتاءاته على صحة الزيارة وكونها من المستحبات المؤكـدة .وهذا نص الاستفتاء :

«السلام عليكم، سماحة المرجع المحترم.

عندنا في مانشستر مركز إسلامي نقيم فية تعزيـة للإمـام الحسين عليه السلام مجموعة من الشباب الموالين الحـسينيين أرادوا قراءة زيارة عاشوراء منعتهم اللجنة المقيمة على المركـز مـن قراءة الزيارة ويقولون هذا تخلف وأنه غيـر معتـرف بهـا فـي الروايات بسبب اللعن الوارد فيها. ما هو رأي سماحتكم؟

الجواب:

بسمه تعالى، زيارة عاشوراء من الزيارات المهمة والمؤكدة.

مكتب سماحة الشيخ الفياض دام ظله،
النجف الاشرف ٢٥، صفر ١٤٣٠ هـ».

ولست هنا بصدد كلمات العلماء في هذه الزيارة وسندها، ونعم ما قاله الشيخ جعفر السبحاني في هذا المقام عند اختتامه لدراسة خاصة في أسانيد هذه الزيارة الشريفة:

« هذه إشارة سريعة إلى أسانيد زيارة عاشوراء، وقد عرفت صحّة بعضها ومقبولية البعض الآخر، والمجموع يشد بعضه بعضاً ويورث العلم أو الاطمئنان المتاخم للعلم بصدور الرواية عن المعصوم ـ عليه السلام ـ مضافاً إلى أمرين:

١- اتفاق العصابة ومواظبتهم على قراءتها عبر القرون وهي إحدى القرائن على صدور الرواية.

٢- انّ الإمعان في مضمون الزيارة يعرب عن أنّه صدر من قلب ملؤه الشجون والأحزان، لا يسكن دمعه ولوعه إلا بأخذ الثأر، وهو يتفق بذلك مع مضامين سائر الروايات

الواردة في الأدعية والزيارات»[1].

ونحن لا نريد ان نلمّ بأبعاد زيارة عاشوراء لكون هذا فوق طاقة كاتب السطور، بالاضافة إلى محدودية كل شرح امام النص نفسه. وبتعبير المرجع الشهيد محمد صادق الصدر:

« إننا نشعر وجداناً بعدم إحاطتنا بالواقعيات على واقعها، لا من ناحية العقل النظري، ولا من ناحية العقل العملي»[2].

وإنما سوف نكتفي ببعض الشذرات البسيطة والمختصرة، التي لم يقف عندها شراح هذه الوثيقة القيمة والمهمة. وقد كنتُ كتبت شرحاً مطولاً للزيارة الشريفة، موضحاً الابعاد الاخلاقية والتربوية والعرفانية فيها، لكنني لما وجدت القلب منشغلاً بأمور أخرى قمت بحذفها حتى لا يختلف القول عن الفعل والتغاير في الاحوال.

---

(١) جعفر السبحاني، دراسة سند زيارة الحسين في عاشوراء.

(٢) محمد الصدر، أضواء على ثورة الإمام الحسين، المقدمة، الطبعة التي حققها كاظم العبادي الناصري.

(٢)

جرأة الحرية أو الانسان لذاته

جريمة مكشوفة وقاتل مجهول:

قبل ما يقارب القرن من الزمن كان المفكر الشهيد محمد باقر الصدر يقول بطموح:

«وأنا على يقين من أن أيام التعبد بأعمال السالفين وتصويبها على كل تقدير قد انتهت، وأن الزمان الذي يتحاشى فيه عن التعمق في شيء من مسائل الفكر الإنساني ديناً كانت، أو مذهباً أو تاريخاً أو أي شيء آخر قد مضى مع ما مضى من تاريخ الإسلام بعد أن طال قروناً»[1].

---

(١) محمد باقر الصدر، فدك في التاريخ، فصل مع العقاد في دراسته.

لكن للاسف الشديد البحوث المنحازة تراكمت مثل حطب الغابة لتجديد المحرقة القديمة. فليس من سبيل سوى خيارين لا ثالث لهما: ان تلتزم الصمت كي تتهم بالتقية، أو تنصاع لاستبداد الاكثرية المرتبطة بذهنية السلاطين، فتتهم بالنفاق والارتزاق. وهي محنة كان يقول عنها رائد النهضة العربية جمال الدين الافغاني بأنك كي يسمعك الآخرون لابد أن تكون سنيّ اللسان.

والحسين الرائد الاول في الإصلاح الصارخ في جموع الموت والجهل واستقالة العقل من أجل السلطان:

«لم أخرج أشِراً، ولا بَطِراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً.. إنما خرجت لطلَب الإصلاح».

كيف يمكننا ان نعقل قتله بتلك الطريقة التي لا مثيل لها في كل التاريخ العربي الإسلامي، واين قريباً من عاصمة أبيه التي كانت مأوى زينب التي سوف تساق مسبية، ثم بعد ذلك يجري تشويه ثورة الحسين بالكامل؟!!

تبدأ جريمة كربلاء، وبالتالي العقل الطائفي العربي، في

حقيقة الأمر في المدينة المنورة ومن قضية السيدة فاطمة تحديداً. والقوم، اعني الكادر الثقافي للجلادين، التفتوا إلى ذلك، فراحوا يُبدعون شتى وسائل التعمية. فتارة يتم إلغاء فاطمة الزهراء عن مكانتها ويتم مقارنتها بابنة أبي جهل. ومرة تصبح فاطمة مجرد رقم باختراع بنات أخريات للنبي يتم توزيعهن على اسماء تم اختيارها بدقة. بيد أن ثمة عقبة حسية ظلت تمثل تحدياً حقيقياً لا يمكن ستره باختراع نصوص وأسانيد وهمية. ذلك التحدي المتمثل بغياب ضريح معروف لابنة النبي الوحيدة وكونها دفنت حية. هنا يكون السؤال عن كربلاء اخف وطأة، كيف تحولت فاطمة إلى معارضة أقلية يتم دفنها سرّاً وخوفاً من السلطة وبالأمس القريب توفي أبوها مؤسس الدولة ورجلها الاول وممثل شرعيتها الوحيد؟!

هنا تكون آلية الزيارة فارزة تعني الكثير، فهي ما زالت تذكر فتنة الإسلام الاولى، السقيفة وكيف تفرع عنها فتنة الجمل ومن ثم مجزرة كربلاء. حينما تتحول الزيارة إلى أدب تتكثف وتتشابك وتغدو وسيلة ابصار يفضح المطمور والمسكوت عنه

الذي دفنه العقل العربي السلطاني حياً. ومن هنا سنفهم لماذا حرصت زيارة عاشوراء على ربط الإمام الحسين بأمه فاطمة. فالقضية هنا ليست انتساباً وإنما إحالة قضية إلى قضية أخرى من اجل التوضيح والإبانة والتفسير. لذا بقيت قضية السيدة فاطمة معضلة حقيقية وسند إدانة عملي حتى اليوم.

روى البخاري في صحيحه:

«فلما توفيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ولم يُؤذِنْ بها أبا بكر وصلى عليها»[1].

وروى مسلم في صحيحه:

«فلما توفيت دفنها زوجها عليٌّ بن أبي طالب ليلاً. ولم يُؤذِنْ بها أبا بكر. وصلى عليها عليٌّ»[2].

وايضاً روى ابن شبّه النميري المتوفى ٢٦٢هـ بسنده عن الحسن بن محمد:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب٣٨ حديث ٤٢٤٠ و٤٢٤١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير باب١٦ حديث ١٧٥٩.

«إن علياً رضي الله عنه دفن فاطمة رضي الله عنها ليلاً»[1].

وكذلك روى بسنده عن أم المسلمين عائشة قولها:

«إن علياً رضي الله عنه دفن فاطمة رضي الله عنها ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر»[2].

وقال ابن حِبّان في ترجمتها:

«وصلى عليها عليٌّ ولم يؤذن بها أحداً ودفنها ليلاً»[3].

بينما صرح البيهقي بالقول:

«وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة، لما في الصحيح أن علياً دفنها ليلاً ولم يعلم أبا بكر»[4].

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة:

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبّه ج١ ص ١١٠.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبّه ج١ ص ١١٠.

(٣) كتاب الثقات لابن حبان ج١ ص ٤١٦ رقم ١٠٩٢.

(٤) هامش تاريخ المدينة لابن شبّه ج١ ص ١٠٩.

«توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ودفنها علي بن أبي طالب ليلاً»[1].

وعن عروة مثله:

«إن علياً دفن فاطمة فاطمة ليلاً»[2].

وقال ابن عبد البر:

«وغسلها زوجها علي رضي الله عنه، وكانت أشارَتْ عليه أن يدفنها ليلاً»[3].

وروى ابن حجر بسنده عن علي بن الحسين:

«إن علياً صلى عليها ودفنها بليل بعد هدأة»[4].

وقال البخاري أيضاً في موضع آخر:

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص ٣٩٨ ح٩٨٩ و ٩٩١، والمستدرك للحاكم ج٣ ص ١٧٨ ح ٤٧٦٤.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير ج٢٢ ص ٣٩٨ ح٩٩٢.

(٣) الاستيعاب ج٤ ص ٤٥٢ ترجمة فاطمة رقم: ٣٤٩١.

(٤) الاصابة ج٨ ص ٢٦٨ ترجمة فاطمة رقم: ١١٥٨٧.

«فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى تُوفيت»[1].

وقال مسلم في صحيحه:

«فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك. قال: فهجرته. فلم تكلمه حتى تُوفيت»[2].

وقد يكون الأمر أبعد من ذلك يعود إلى ما سمي برزية الخميس التي تحدث عنها أرباب الحديث على وجل وتسرع»[3].

فهناك جيب وتيار لم يستسغ ان يتساوى الاشراف مع العبيد. ان تتساوى قريش مع غيرها. لذا سعوا بشدة كي يعيدوا الحالة الطبقية إلى المجتمع، لذا قاموا بمحاولة التصفية الجسدية للمعارضة والتي لايمكن أن لا يكون على رأسها آل النبي وأهل بيته الذين نزل الوحي فيهم وفي بيوتاتهم. ومن

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب٣٨ حديث ٤٢٤٠ و٤٢٤١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب١٦ حديث ١٧٥٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المرض والطب، باب قول المريض قوموا عني. صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية. طبقات ابن سعد ٢ / ٣٧.

ثم كان القتل مصحوباً بفرق اعلامية متمثلـة بتزويـر أحاديـث وطمس الآخر منها. لذا نجد جملة من المجتمع الشامي حـين ذاك لا يعرف من هو علي بن ابـي طالـب، فكيـف لا يـسهل عليه بالتالي قتل ابنه؟!

ثم إن هذا الجيب وهذا التيار المعاكس لرسـالة الإسـلام، كان يعرف انه لا يستطيع الإجهار بنواياه هكـذا جهـرة. فهـذا يصطدم مع الحالة الوجدانية التي أنجزها النبي ﷺ، لذا كانت الخطـة تقتـضي ان يـضرب الإسـلام باسـم الإسـلام، ويـتم التخلص من رجالها المخلصين عبـر التـصفية الجـسدية. أمـا الذي يخضع ويقبل فسوف تهبط عليه الهبات والامتيازات من جوارٍ وذهب وإلغاء للضريبة وما شابه.

في عرض جميل والتفاتة مـن التفاتاتـه الفريـدة، يقـول السيد محمد صادق الصدر، رحمه الله، في خطبته الاولى يـوم الجمعة الرابع والعشرين :

«إلا أن المـشهور لـدى المتـشرعة الـى الآن أن الزهـراء (سلام الله عليها) كانت تريد منع أعدائها الذين غضبت عليهم

من حضور تشييعها وزيارة قبرها بعد دفنها. فكانت أفضل طريقة لذلك هو هذا التعتيم المطلق الذي حصل بمنع المجتمع كله عن ذلك لكي يمتنع الاعداء عن ذلك أيضاً لأنه لا سبيل لمنعهم بالخصوص إلا بمنع المجتمع كله. وهذا الوجه جيد جداً لولا إشكال واحد لعلّنا التفتنا اليه وهو أنها لو كانت (سلام الله عليها) تقصد نفس أعدائها الموجودين في ذلك الجيل إذاً فقد زالوا عن الوجود بعد مائة سنة مثلاً أو اكثر او أقل. فلماذا لم يكشف المعصومون من ذريتها عن موضع قبرها بعد ذلك؟ إذاً فالأمر أعمق من ذلك من جهتين:

الاولى: عدم اختصاص هذا الغضب الفاطمي بالجيل المعاصر لها بل هو شامل لكل الاجيال ما دام هناك أتباع ومناصرين ومحبين لهم .

الثانية: عدم اختصاص هذا الغضب الفاطمي بطبقة معينة نعتبرها متطرفة بالضلال، بل تشمل كل المجتمع بدليل أنه لا يوجد أي أحد منهم أو منا يعرف ذلك على طول الأجيال ولو كنا مستحقين لذلك لعرفناه اكيداً، لأن رحمة الله قريبة من المحسنين».

لذا نجد ان نهاية الإمام الحسين سوف تنتهي بنهاية مشابهة لأمه فاطمة الزهراء، وذلك بإخفاء الضريح سنوات عديدة. لكن فيما ستكون خطة أهل البيت إبقاء ضريح السيدة فاطمة مخفياً، فإنهم أصروا على آلية زيارة ضريح الحسين، وبين الضريح المخفي والضريح العلني، تمتد قصة الإسلام الآخر.. اسلام محمد وليس إسلام الصحابة.. اسلام القرآن وليس إسلام الخلافة.

الحسين الحرية المتعينة:

في يوم عاشوراء حاول الإمام الحسين بكل جهده ان لا يقع قتال فحاول أن يفتح مع جيوش آل سفيان ساحة النقاش وعرض الادلة أو لا أقل أن لا يكونوا مجرمين قتلة عدة طمعاً في جوائز السلاطين فكان يصيح فيهم:

«أيها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم علي وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل.

وإن لم تقبلوا مني العذر، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقـضوا إلـي ولا تنظـرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

(..) أما بعد، فانسبوني، فانظروا من أنـا، ثـم راجعـوا أنفسكم فعاتبوها، وانظروا هل يـصلح ويحـل لكـم قتلـي وانتهاك حرمتي؟

ألست ابن بنت نبيكم، وابـن وصـيه وابـن عمـه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي؟

أولم يبلـغكم قول مستفيض: إن رسـول الله ﷺ قـال لي ولأخي: أنتما سيدا شباب أهل الجنة وقـرة عـين أهـل السنة؟

فإن صدقتموني فيما أقول فهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله.

وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سـألتموه عـن ذلـك أخبركم: سلوا جابر بن عبد الله، أو أبا سعيد، أو سهل بـن

سعد، أو زيد بن أرقم، أو أنساً يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله ﷺ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟(...) أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم ابن عمك؟ فإنك لا ترى إلا ما تحب.

فقال عليه السلام: **أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟**

لا والله، ولا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»[1].

فلما يئس منهم أخذ يخطب بهم خطباً عدة فكان منها:

«أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول

---

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٦١ – ٦٢.

الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم.

وأنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهلكم، فلكم في أسوة»[1].

من أين للحسين كل هذا الثبات والقوم قد قطعوا عنه الماء وفي التاسع من محرم تم حصاره من كل جانب ومكان بالجيوش حتى قال الإمام الصادق:

«تاسوعاء يومٌ حوصر فيه الحسين واصحابه بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها،

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٤٨.

واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه واصحابَه وأيقنوا أنّه لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر، ولا يمدُّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب»[1].

رغم كل الجيوش التي تحاصر الحسين، وصخب الاطفال والنساء العطشى يبقى الحسين ثابت الجنان لا يهتز. بل هو يدعو القائد الاعلى للجيوش الاموية عمر بن سعد أن يأتيه ويطرح عليه الحجة يقول لهم احضروا لي عمر، هكذا بلا لقب ولا صفات. يبقى الحسين على طول الحق الروح المتألقة بالنصر حتى ساعات احتضاره الأخيرة حتى يصرخ التاريخ صرخته الشهيرة ما رأيت مثكولاً أصبح وجهاً من الحسين.

تبقى الحرية وضاءة رغم الدماء، رغم الألم والجراح والحصار، رغم التشويه والتعتيم. وأي شيء ينير غير النور، وأي ثمن يمكن ان يعطاه الانسان ويبقى فرحاً فخوراً، عوض تنازله عن الحرية؟!

---

(١) الفروع من الكافي للكليني: ج٤،ص١٤٧، بحار الانوار: ج٤٥،ص ٩٥.

وفي هذا اليوم، أي يوم التاسع من محرم، نقرأ احداثاً غريبة تكشف لنا عن شخصية جيش الامويين فقد روى المحدثون:

« أن عُمر بنَ سعد نهضَ إلى الحسينِ عليه السلام عشيةَ الخميسِ لتسع مضينَ من المحرم، وجاء شمرٌ حتى وقفَ على أصحابِ الحسين عليه السلام فقال: أينَ بنو أختنا؟ فَخرجَ اليه العباسُ وجعفرٌ وعبدالله وعثمان بنو عليٍّ عليهم السلام.

فقالوا له: ما لكَ وما تريد؟

قال: أنتم يا بني أختي آمِنون.

قال له الفتية: لعنكَ اللهُ ولعنَ أمانَكَ، لئن كُنتَ خالَنا أتؤمِنُنا وابن رسولِ اللهِ لا أمان له؟!».

وهذا السلوك من الحسين، أعني سلوك التحدي حتى وهو في قمة الحصار، نجده خطاً مستمراً وموقفاً لا يتبدل. نقرأ في البحار ج٤٤ ص٣٢٤ وص٣٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٤٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٨، أن الإمام الحسين منذ كان في المدينة وأتى الوليد ومروان ليأخذا البيعة ليزيد قهراً،

كان الامام الحسين محاصراً بالطبقة العليا من قادة السلطة لكنه مع ذلك يصيح بمروان حينما أشار على الوليد بقتل الحسين:

«يابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟! كذبت وأثمت (..) إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة، معلناً بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله».

كم هي نفس كريمة هذه، نفس متألقة تشعر بالسمو فوق بؤس الراهن وسفاهة الحال للمجتمع والسلطة، روح كبيرة لا يضرها تلوث الأكثرية ولا يهزها تهديد البطش والقوة. كان الحسين محاصراً في داره وهو يعلن عدم خوفه فلم يداهن ولم يبحث عن تبرير للخلاص. وقد فهم السيد المقرم في كتابه المقتل، والسيد محمد صادق الصدر في كتابه شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين، أن الامام هنا وجه شتيمة لمروان بتعييره بأمه التي كانت أحد البغايا الساقطات المشهورات، بينما نص الإمام يوضح الأمر فالنص يبين عدم شرعية يزيد للخلافة لكونه فاسقاً شارباً للخمر وقاتل النفس المحترمة، وكذلك مروان ليست له شرعية القتل او إجبار

الامام الحسين أو اي احد من الأمة لأخذ البيعة وتعيين شـكل الحكم، لكونه ابن امرأة زانية وهو قد تربـى بتربيـة هـذه الأم الفاسقة المنحطة والتي ربّـت رجـلاً لا يجيـد سـوى إرهـاب الآخرين وإهانة المجتمع عبر بيع نفسه للسلطة، فكما ان بيان صفات يزيد لم تكن للشتيمة كذلك بيان صـفة مـروان، طبعـاً هذا لا ينفي أن مثل هذه الصراحة تحوي على قـوة المجابهـة واستصغار هولاء بنظر الإمام، وهذا التفسير ينطبق على جميع كلمات الامام علي والإمام الحسين التي كانوا يوجهونها لبنـي امية وغيرهم من الطغاة. وعليه تنتفي إشكالات السيد المقـرم ولا حاجة لتلك الحلول التي اخترعهـا الـسيد محمـد صـادق الصدر رحمه الله .

المهم أن نتأمل روح المقاومة الحسينية هنا، روح التمرد، روح الحق الخالص، روح الحرية التي لا تعترف بكافة القيـود النفسية والـسياسية والاجتماعيـة، هنـا نجـد تـصادم شـرعية السلطان وشرعية القرآن بشكل واضـح ومعلـن وبـلا نقـاب. السلطان يريد البيعة، يريد التبعية، يريد الاذلال. بينمـا القـرآن يصر على الحرية، على الاستقلال، على الكرامة.

وفي ليلة عاشوراء يجمع الإمام الحسين من معه ويحثهم على تركه إذا كانوا يريدون السلامة. روي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام [1] قال:

«جمع الحسين عليه السلام اصحابه بعدما رجع عمر بن سعد وذلك عند قُرب المساء، قال: فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعتُ أبي وهو يقول لأصحابه: أثني على الله تبارك وتعالى أحسنَ الثناء وأحمدهُ على السرّاء والضراء اللهم اني أحمَدُك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، فاجعلنا من الشاكرين. أما بعد فإني لا أعلمُ أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرَّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكُم الله عني جميعاً خيراً. الا وإني أظنُ يومنا من هؤلاءِ الاعداءِ غداً الا واني قد أذنتُ لكم، فانطلقِوا جميعاً في حل ليس عليكم حَرَجٌ منّي ولا ذمام هذا اللّيلُ قد غشّيكم فاتّخذوه جَمَلاً وليأخُذ كلُ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سَوادِكم ومدائنكم حتى يُفرجَ الله،

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني: ص١١٢.

فإنَّ القومَ إنما يطلبوني ولو قد أصابوني لَهوا عن طلب غيري».

لأجل هذا الوضوح في شخصية القائد والوضوح في احقية القضية كان اصحاب الحسين يشعرون بالتقصير أمامه. فهو نموذج محير واستثنائي في القيادة. قائد يضع نفسه وأهله بشكل عملي لقضية حرية المجتمع فنقرأ في احداث ليلة عاشوراء أنه قد قام زُهير بن القين وقال: والله لوددتُ أني قُتلتُ ثم نُشرتُ ثم قُتلتُ حتى أقتلَ كذا ألف قتلة، وأن اللهَ يدفعُ بذلكَ القتلَ عن نفسك وعن أنفُس هؤلاءِ الفتيةِ من أهل بيتك!.

وتكلم جماعةُ أصَحابه بكَلام يشبهُ بعضه في وجه واحد، فقالوا: والله لا نُفارقُكَ، ولكن أنفُسنا لكَ الفداء! نَقيكَ بنحورنا وجباهِنا وأيدينا، فإذا نحنُ قُتلنا كُنا وفَينا وقضينا ما علينا»[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٧ ـ ٣١٨، نهاية الأرب للنويري: ج٢٠ ص٤٣٤، الكامل في التاريخ لابن الاثير: ج٤، ص٥٧ ـ ٥٨، مقتل الحسين للخوارزمي: ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧، اللهوف: ص ٣٩ ـ ٤٠، الارشاد للمفيد: ص ٢٣١، اعلام الورى للطبرسي: ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩، امالي الصدوق: ص ١٣٣، بحار الانوار: ج ٤٤، ص ٣١٦.

هذا الاهتمام بالحرية حتى اللحظات الأخيرة، هو في الحقيقة ضرب للثقافة السلطانية التي أشاعها الطغاة منذ السقيفة ثم آل عثمان القائلين بأن الخلافة قميص ألبسنيه الله، وأن السواد بستان لقريش، ثم الترسيخ الأموي على يد معاوية، عبر طرح فكرة الجبر والطرح المقلوب لفكرة القضاء والقدر. مبدأ الحرية الحسينية هنا يمزق تلك الخرافة ويعري هذه الثقافة البلاطية التي تستبد وتبطش وتغتصب وتقتل ثم تنسب الشرور الى الله سبحانه. الحرية الحسينية هنا تقف لتواجه تلكم الآلية التي سوف تنخر في جسد الأمة الى اليوم وتذيقها شتى الويلات، أعني آلية ان يكون الدين غطاءً لسياسة الحكام الظلمة والحكومات الطبقية والطائفية، التي تنغمس بالشهوات على حساب الامة، وتبرر نزواتها بواسطة الدين وفقهاء السوء والأقلام المأجورة. وأي قوة أكبر من أن يقف الأعزل المحاصر، الذي تعاني نساؤه وأطفاله الجوع والغربة والعطش، ويطلب من أصحابه أن يغادروا إن هم أرادوا فهم احرار، فلا قيمة للشهادة بدون النية والنية قائمة على الفهم والادراك والتبصر. ومن هنا أعطى الحسين، مثل

أمه الزهراء، موقفاً احراجياً للعقل العربي وثقافته الطائفية، من خلال وضع حريمه وأطفاله وإخوته بتلك الطريقة، إذ ممكن أن تزوّر الثقافة السلطانية الكتب والمفاهيم، لكن ماذا ستعمل مع عطش الاطفال وماذا عسى فقهاء البلاط أن يعملوا مع دم الشهادة؟! كان لا بد من وضع علامة للسائرين، علامة عملية وهذا هو ما يفسر إصرار الحسين على خوض تلك التضحية وبكل ذلك المقدار، لعلّ وعسى أن يتحرك الوجدان العربي بعدما تشوهت جميع قيمه ومفاهيمه وتعتمت الكتابة والنقد فيه.

كان موقف الحسين ذاك أكبر عملية تعرية لأقنعة السلطة، ليس السلطة الأموية فقط، وإنما لكل سلطة مزيفة سوف تتسلط على رقاب الامة بالبطش وعصبية القبيلة والطغيان والانقلابات المأجورة والمتعاونة مع المستعمرين. لذا كان اسم الحسين يثير الفزع والخشية والحساسية لدى تلكم الحكومات جميعاً، رغم اختلاف المكان والزمان والاشخاص والأسماء والعناوين، إذ تبقى الحرية فوق كل مبدأ لكونها الانسان نفسه، فلا قيمة لإنسان بلا حرية فهو

الميت الحقيقي بل هو أقل من جثة متحركة، بينما الذي يقتل في سبيل حريته هو الحي الحقيقي وستبنى له أضرحة من نور ومدارس في العقول والقلوب.

بقي الحسين مصرًا على مبدأ الحرية، وهو المبدأ المناقض تماماً لمبدأ البيعة. وحين ضاعت الحرية من وجداننا الديني والقومي، تجذر مبدأ البيعة حَتى طغى على كل ابعاد العقل العربي وطرائق تفكيرها النظرية وسلوكاتها العملية، وأمام صدمة العولمة بتنا لا نستطيع الرجوع إلى التراث لكونه منقوصاً، ولا يمكن ترك التراث كاملاً لكونه جزءاً من هويتنا، فبتنا نعاني اضطراب الهوية، نعاني من هوس التغريب الثقافي، ومن تحرر التاريخ وفضح المسكوت عنه:

القسم الثاني:

شرح زيارة عاشوراء المقدسة

معنى السلام وملازمة التوحيد

يقول النص «**السلام عليك يا أبا عبدالله**».

والسلام في الازمنة القديمة مرتبة شرف، إذ لا يحق لأي أحد ان يلقي السلام، إذ يكتفى من الناس أن يقابلوا الحجاب والحراس وعن طريقهم يتم تقديم الكلام للرؤساء والامراء، إلا للخواص. وعليه يكون إلقاء السلام مباشرة هو طلب ارتقاء ان يكون الانسان بمستوى إلقاء السلام بشكل مباشر. لذا اهتز حبيب بن مظاهر حينما وجهت اليه السيدة زينب السلام والطلب منه ان ينصر الإمام الحسين.

ولا تبالِ بمن يقول بعدم زيارة اضرحة الاولياء وأنها شرك وأنها عمل باطل، فهذا مخالف للقرآن الكريم الذي قال عن الشهداء بأنهم احياء. ومخالف للإسلام القائم على الايمان ببقاء الروح. فمن خالف ذلك هدم الدين من الاصل. فالمسألة

هنا ليست زيارة قبور كما تقول الوهابية أو توسل بالاموات كما يقول عبدالله القصيمي وآخرون[1].

فهذا الفهم للموت هو فهم وثني إذ الإسلام أكد على ان حقيقة الانسان بروحه وان الغيب هو جوهر الاشياء، حيث انه الوجه المرتبط بالعلة الحقيقية وهي الله سبحانه لا شريك له. اما الذين يدعون التوحيد بنفي الروح وتحويل الأمر إلى مخاطبة أموات فإنهم يقطعون الله عن خلقه ويسقطون في المادية المحضة. فكانت النتيجة ان الذين ركزوا على نقد التشيع بهذا المنظور انتهوا إلى الالحاد الكامل (كما حصل لعبدالله القصيمي فعلاً).

واعلم أن السلام التفات وانتقال من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام. فأنت بالسلام تلتفت من بؤس الراهن الميت إلى ساحة قدس المعنى الحي. وعليه يكون السلام الخطوة الأولى لكل حركية وسلوك.

---

(١) عبدالله القصيمي الاسلام والوثنية ج١.

والسلام مصطلح إسلامي وبما ان الاصل الاول في الإسلام هو التوحيد، كان السلام اسماً من أسماء الله سبحانه. ثم كفرع هو التحية التي حرص الإسلام على إشاعتها بين افراد وجماعات المجتمع الإسلامي.وهذا يعني أن السلام هو حرمة العلاقة وقدسها بين الانسان والانسان كحرمة اسم الله سبحانه. لذا كانت تحية السلام تعني بث الطمأنينة والالفة بين افراد المجتمع من جانب، وربطهم وتذكّرهم بالاصل الاول وهو التوحيد من جانب ثان. لذا بدأت الزيارة بلفظ السلام كافتتاحية مذكرة بالأصل الأول وهو التوحيد وكون الإمام الحسين فرداً من أفراد المجتمع الإسلامي بل هو افضلهم بعد رسول الله وخليفته، فكان أفضل فرد من المجتمع الإسلامي مستحقاً لأجل فيض للسلام من منبع السلام الاول جل وعلا.

وطبيعي ان المجتمع حينما استباح الفرد الاكمل استسهلت السلطة دماء بقية الناس، وهانت بقية الجرائم والموبقات.

وقد تم ذكر كنية الإمام الحسين بـ يا أبا عبدالله، من قبيل الاجلال ظاهراً. اما باطناً فهو إيحاء بكون الحسين حاضراً في الضمير والوجدان والعاطفة والسلوك، والحاضر يـذكر بكنيتـه بخلاف الغائب الذي يذكر باسمه، حسب الحـديث الـشريف المعروف. وثالثاً هذه متابعة لاصحاب الإمام الحـسين عليه السلام. إذ ان كل واحد من انصاره عليه السلام كان يطلب الرخـصة مـن الإمـام للقتال ثم يقول له السلام عليك يا أبا عبـدالله، فيجيبـه الإمـام ارواحنا فداه: «وعليك السلام ونحن بالأثر».

فهنا الزائر يكرر هـذا الموقـف ويـستذكره ويعيـشه فـي ذاكرته ويستشعره بأحاسيسه، فإذا لم يمكن إعادة التاريخ فإن المواقف تعاد وصدق الامتحان يتجدد. فإعادة الماضي خيـال وملازمة الافتراض بؤس وخواء، والموقف امـتلاء بـل بـدون الموقف لايكون ثمة وجود ممتلئ.

وأنـت إذا تأملـت بكافـة الفـرائض والمـستحبات فـي الإسلام، النظرية والعملية، والطقوسية والاجتماعيـة، سـتجدها على شكل مقدمة وجناحين وخاتمـة، سـواء فـي الـصلاة أو

غـسل الجنابـة أو تنظـيم الـصفوف فـي صـلاة الجماعـة أو الجيوش. وهذا ينطبق على نصوص ما يسمى بـالزيارة ايـضاً. فهناك دوماً افتتاحية قائد وميمنة وقلب ومـؤخرة يـتم تـسليم العمل وإعلان الانتهاء منه.

الامامة عروة التوحيد وطريق التمرد

قال النص الشريف:

«السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا خيرة الله وابن خيرته، السلام عليك يابن امير المؤمنين وابن سيد الوصيين، السلام عليك يابن فاطمة سيدة نساء العالمين».

إذا كانت الفقرة الاولى مرتبطة بالتوحيد، فإن هذه الفقرة مرتبطة بالنبوة والامامة. فالحسين مشعل يضيء خط الرسالة وقضية التوحيد، الخط الذي حوّله الأمويون وأتباع ذهنيتهم السلطانية إلى وسيلة يتأمرون بها على الناس، محوّلين الدين إلى لافتة لتسلط الظالمين، والصلاة إلى بيعة للقتلة والمجرمين وشذاذ الطرق ولصوص الأوطان ومسوخ الضمير.

هذه الفقرة إذاً بمثابة البيعة للإمام الحق وتمرد على جميع انواع السلطات الاخرى، وهذه الفقرة بمثابة جواب مقدر بالدليل على أحقية البيعة للحسين وليس للآخرين؟!

فيكون الجواب للحسين البيعة والطاعة لكونه حلقة الربط بسلسلة الإمامة والنبوة، اللذان بهما قام التوحيد ورفع شعار لا إله إلا الله. فهو ابن الرسول الاعظم وابن الوصي الاكبر، إذ ان الوصي منزلته بمنزلة نبيه. فكلما كانت منزلة النبي أعظم كان وصيه أكبر منزلة، وبما أن نبي الإسلام ﷺ هو اعظم الأنبياء، لذا فإن عليًّا هو سيد الأوصياء، وأي مُنكرٍ لمنزلة الإمام علي هو منكر لمقام النبي نفسه، والعكس بالعكس لكون الاصل لا يكون غريباً عن فرعه، والفرع لا يزيد على الاصل. ومن يقوم بنفي الإمامة فإنما هو ينفي النبوة إذ النبوة مرحلة نشر ظاهر الشريعة والاكتفاء بحدها الادنى، وهذا ما نلمسه من تطبيقات النبي الاعظم إذ انه كان يكتفي بالشهادتين نطقاً لا عملاً، كي يكون المرء محصن الدم والمال. بينما الإمامة هي مرحلة التفصيل والابانة والتحقق الجوهري لتعاليم النبوة هل امتثلتها الأمة أم لا؟!

وهذا معنى قول الإمام علي: قاتلناهم على التنزيل واليوم نقاتلهم على التأويل. فعند نفي الإمامة ينقلب الدين إلى قشور والايمان إلى شكليات، وهذا ما أسسه الأمويون وسار عليه فقهاء السلاطين ورواتهم وقنوات إعلامهم سالفاً عن سالف فبئس السلف وأتعس الخلف.

ولا حاجة بنا هنا إلى تكرار السجال المعروف حول الإمامة، فقد اطنب فيه العلماء لكن كيف يمكن اقناع عقول منحازة سلفاً. وعلى كل حال فالامامة امر شبه بديهي إذ من منا يمكن ان يسافر ويترك عائلته بدون راع، فكيف بنبيٍّ يتربص به المنافقون واشراف قريش ظلت مستاءة منه لكون النبي ساواها مع العبيد. أوليست حروب الردة دليلاً عملياً على أهمية الإمامة وانها نتجت عن ذلك الفراغ بالذات؟!

وهذه الفقرة بيان للحمة الحسين بالبيت الذي نزل فيه الوحي، والبيت الذي هو أول مدرسة للاسلام وبأنه هو الممثل الطبيعي لتعاليم الوحي والقرآن، وهذا هو الذي كان يشدد عليه سيد الشهداء امام جيوش بني امية الغاشمة البربرية «اللهم انهم يقتلون رجلاً ليس في شرق الأرض وغربها ابن

بنت نبي غيره». وفي هذا بيان كبر حرمة الشخص الـذي يـتم الاعتداء عليـه، وحجـم الجريمـة المقترفـة علـى يـد جـيش الطاغوت، وبالتالي انه يستحيل ان يكون هذا الجيش وأمـراؤه والراضـون بفعلـتهم، مـسلمين لكـون الإسـلام هـو ارتبـاط بالتوحيد وبالنبوة والخوف من المعـاد، وهـولاء يقتلـون ابـن النبي ولا يبالون بالتوحيـد ولا يـرف لهـم جفـن مـن عقـاب الآخرة. وقد دلـت أفعـالهم علـى ذلـك فهـم قتلـوا الاطفـال واعتدوا على الشيوخ والنساء وذبحـوا الاسـرى ولـم يهتمـوا بالصلاة. وهذه الفقـرة مـن الزيـارة تـذكرنا بمـا فعلـه الإمـام الحسين في يوم عاشوراء حينما ارتـدى بـردة وعمامـة النبـي وخرج يخطب بجيوش بني أمية لعنهم الله، كتذكير عملي بأنه ممثل رسـول وأنه ابنه ولحمه ودمه وأن النـسوة اللاتـي معـه هـن عـرض رسـول الله، بالاضـافة إلـى مـا قـام بـه الإمـام الحسين عليه السلام من وضع القرآن على رأسـه ونـشره بـين يـدي تلكم العصابة الخسيسة الطباع الوضيعة النفس ومحاججته لهم بشتى انواع الحجج.

وهذا يعنـي أن الحـسين هـو بقيـة الله والحـق المتعـين

للطريق المستقيم. بالاضافة إلى كشفه صلوات الله عليه وسلامه لذلك المجتمع المريض والمنافق فهذا المجتمع والجيش هو ذاته الذي أحدث اضطراباً وانشقاقاً في زمن الإمام علي لكون معاوية رفع المصاحف على الرماح، لكن هذا المجتمع والجيش ذاته يشاهد القرآن مرفوعاً فوق هامة الإمام الحسين لكنه لا يبالي. وهذا تطبيق لمقولة الإمام الحسين بأن الدين لعق على ألسنتهم يلوكونه ما درّت معايشهم. فليس ثمة مبادئ وإنما مصالح شخصية وفئوية. والإنسان الذي يكون بلا مبادئ هو إنسان مجرم يجنح بسهولة إلى اقتراف الجريمة وتوسيع الكراهية، لذا فشخصية كهذه تعادي الامن والسلام، ومن هنا تتعمق الرؤية لماذا تم افتتاح الزيارة بالسلام تحديداً. خصوصاً وأن السلام المطروح في الزيارة الشريفة سلام مرتبط بمرجعية محددة وواضحة، الحسين باعتباره البقية الباقية من رسول الله ووارث مدينة علم النبي ﷺ، وان دمه هو دم فاطمة بنت الرسول وسيدة نساء العالمين. فالسلام ليس نظرية فقط وإنما هو واقع خارجي، ليس السلام قول وانما عمل، السلام هنا سلوك يمثل نموذجاً

أعلى. بخلاف الذي لا سلام عنده ولا يؤمن بمرجعية هدى، فهو إما يعاني من تضخم الاحساس بضجر الوجود أو وحشية الحياة أو انه تابع لقادة السوء الذين قال عنهم القرآن الكريم أئمة يهدون إلى النار. إذ من الصعب ان يخلو الإنسان من إمامة يتوجه بها. فهو إن لم يتبع أئمة الهدى يقع في عبودية أئمة الضلال. فالامامة من قبيل الواقعية التي لا سبيل إلى نكرانها، لكن يمكن الفرار من بعض مصاديقها التي بعضها مظهر لأسماء الله الرحمانية والبعض الآخر مظهر لأسماء الله الجبروتية. وعموم الأمة حينما رفضوا أهل البيت ومدرسة الإمام الحسين الذين هم قدوة الاخلاق المحمدية والتعاليم القرآنية، أبدلهم الله لباس التيه، فتراهم ينحدرون في عالم العنف والتقتيل وإشاعة خطاب الكراهية. وهذا مصداق من بدل نعمة الله كفراً.

بلاغة النصر وصنع الهمة

قال النص الشريف:

«يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور».

وهنا نوضح بعض التوضيح البسيط:

قال المرجع الشهيد محمد صادق الصدر:

«إننا لا ينبغي، ونحن ننظر إلى فهم التاريخ الإسلامي، أن ننظر إلى القادة المعصومين، سلام الله عليهم، كقادة دنيويين، كما عليه تفكير طبقة من الناس، يدّعون التمسك بالفكر الديني، ولكنهم متأثرون بالاتجاه المادي الدنيوي، فهم يعتبرون المعصومين قادة دنيويين كبراء، بل هم بهذه الصفة خيرٌ من خير القادة الموجودين خلال العصور كلها، في اتصافهم بعمق التفكير وحصافة الرأي وشجاعة التنفيذ ونحو ذلك. ومعه يكونون هم المسؤولون عن أهداف

حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم، ولا تكون تلك الأمور منسوبة إلى الحكمة الإلهية بأي حال، إلا أنني أعتبر ذلك خطأ لا يغتفر، بل لابد في النظر إليهم كقادة، من أخذ كل الأصول الدينية والعقائد الصحيحة بنظر الاعتبار»[1].

وهو تحديد صحيح. لذا فالنصر والهزيمة، الفشل والنجاح لا بد أن تتحد على أساس هذه القاعدة. بخلاف من ظن ان الأئمة قادة سياسيون لذا فهم فاشلون لكونهم لم يستلموا الخلافة والسلطة. أئمة أهل البيت أرادوا إدامة المعنى ضد شهوات الأنا وحروب النرجسية التي تعيد الانسان إلى رتبة الحيوان. إن وصول هذا المغزى إلينا رغم كل تلكم التحريفات والتشويشات من قبل اعلام السلاطين وكوادرهم الدينية والثقافية والبوليسية، هو وحده دليل على انتصار أهل البيت عليهم السلام. فهم ارادوا صنع الانسان وليس السلطة.

كلما ارتبط طلب برفيع منزلة ارتقى الطلب وأشحذت

---

(١) محمد الصدر، أضواء على ثورة الإمام الحسين، البند السابع من المقدمة.

الهمة. فكيف إذا كان الطلب هو نصرة الحسين، وصاحب المنزلة هو الله جل وعلا؟!

هنا تكون الهمة أكبر والحركة اشد، إذ ما اوضح طريق سراجه الحسين، وما اخلص نية مرتبطة بالله سبحانه، إذ لا نية وراءه سوى البطلان. فالحسين اوضح من خلال خطبه يوم عاشوراء وارتدائه ثياب النبي انه من حرمات الله والقرآن يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1].

فالحسين هو من أهل الكساء واهل البيت، بيت الوحي أي بيت الله سبحانه الذي أراده ان يكون قبلة في الاقتداء وحسن السلوك كما كان بيت موسى وهارون قبلة لأمتهم، وشريعة موسى منسوخة وحكم الإسلام باق، فالحسين إذاً قدوة خالدة، فللّه المثل الأعلى.

روى شيخ الإسلام العلامة المجلسي في بحار الانوار وغيره من المحدثين كابن طاوس والمسعودي وغيرهم، عن اللحظات الأخيرة لسيد الشهداء:

---

(١) القرآن الكريم سورة الحج الآية ٣٠.

«فوقف عليه السلام يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف، إذ أتاه حجرٌ فوقع في جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب، فوقع السهم في صدره - وفي بعض الروايات على قلبه - فقال الحسين عليه السلام: «بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله».. ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي!.. إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عُرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته، وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله وأنا مخضوب بدمي وأقول: يا رسول الله!.. قتلني فلان وفلان».

فهنا نجد الإمام الحسين يلقي الحجة على جيوش الطغاة ومرتزقتهم، ثم يتوجه إلى محراب الشهادة مرتقياً بدرب الآلام والجراح، منزلة الفناء بالإخلاص لله. وهذا المشهد هو الذي سوف يبلغ بالحلاج الجنون إذ انه اضطرب لوصف صلاة

وضوؤها بالدم، فكيف بالاداء، إذ الوصف ليس كالعيان. ومن كان كله لله كان جديراً بأن يكون الله هو الطالب به بمقتضى قول القرآن الكريم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

ولقد حذر الله سبحانه في كتابه الكريم من قساوة القلوب وجعل قساوة القلب من ميزات الكفر فكل منزلة من الفسوق والكفران هي في الحقيقة درك من دركات قساوة القلب. فكم تبلغ قساوة تلك القلوب التي كانت تنظر إلى الإمام الحسين يتعذب كل ذاك العذاب ويقاسي تلكم الآلام؟!.. وكم تبلغ القلوب من القسوة المتوارثة بأن تبقى تستهزئ بآلام الحسين ودم الحسين ومصيبة الحسين ومظلومية النبي بأهل بيته وهم الذين اكد القرآن على كون أجر الرسالة هو رعاية بيت النبي ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فإذا بنا بعد مئات القرون نجد ذات الجيوش تتكأكأ حول تراث الحسين واسم الحسين، محاولة تشويهه وإطفاء شعلته. الأمر الذي يحتم بأن المعركة لا زالت مستمرة. وهذا يعني أن لا علاقة لهولاء بالقرآن، فالقرآن نقيض قسوة القلب ولايدرك الضد ضده، ومن هنا يتأكد

معنى كون أهل البيت عِدل القرآن. فالقرآن حينما يـتم قطعـه عن الإمامة يتحول إلى قَشور ألفاظ يلهـج بهـا فقهـاء الـبلاط ووعـاظ الـسلاطين، ومجموعـة دروشـات تخـدر المجتمـع ويتحول القرآن إلى مجرد صوت بـلا معنـى. يعتنـى بحفظـه وتجويده وتحسين الصوت في ترتيله لكن بدون فهم لمعانيـه ولا تطبيق لمنهجه.

والثأر لا يطالب به إلا خاصة المقتول، فالحـسين خاصـة الله فهو من المصطفين (بفتح الطاء) الذين جعـل لهـم القـرآن منزلة خاصة بـين منـازل العـشق الالهـي. واذا كـان الحـسين خاصة الله كان هو أشرف مطلوب لأشرف طالب. والله عـام لا يخصص إذاً الحسين مطلب لكافة الخلق ومن هنا كان شـعار يا لثارات الحسين هو راية الإمـام المهـدي، علامـة الإصـلاح العام للبشرية. فكل راية لا تنتهي عند الثأر للحسين، فهي راية ضلال لكون الحق لا يجزأ. ومن عجز عن جعل الحسين ابـن رسول الله المضحي بنفسه واهل بيته، لافتة لمسيرته فهو عـن الارتباط بالتضحية الحقيقية لاسم الإسلام العـام، اعجـز. إذ ان من سار على عكس لافتة الطريق لا يبلغ الغاية.

واذا كان الله هو علة التأثير وبيده الأمر من قبل ومـن بعـد، كان كل عمل مرتبط به نصراً، وهـذا مـا سـماه الإمـام الحـسين «فتحاً». فالنصر لا يكون زائلاً، ولايكون منغلقـاً أو زمانيـاً، إذ ان الذي يعرضه الفناء خائب مهزوم، بينمـا المتـصل بالـدائم دائـم مثله والمرتبط بالنور مهتد لجادة الطريق. فالنصر ينبع من الذات، والذات التي ينبع منها النصر لا تكون إلا ذاتـاً ممتلئـة بـالمعنى، ولا معنى خارج حريم الذات الإلهية فكل ما خلا الله باطل.

ومـن هنـا يمكـن أن يكـون لمعنـى ثـأر الله هـو ان الله سبحانه يثأر لشريعته بالحسين (لا انه يثأر للحسين، كمـا فـي المعنى الاول)، فالحسين أشـرف وسـيلة فـي عـالم الامكـان لتحقيق الحقيقة. فبالحسين يتم تمييز الإسلام الرسمي المُـزور الذي نماه السلاطين حيث فتاوى عدم الخروج على الـسلطان الجائر، وتحويل خطب الجمعـة إلـى وسـيلة دعائيـة لأمـراء الفسق والضلال، وتحريم العقل وتحويـل القـرآن إلـى ظـاهر قشري وغير ذلك. دم الحسين هو الذي يثيـر الـسؤال ويعيـد الاستفسار عن ذلك الإسلام الذي تم اغتيالـه باسـم الإسـلام، كيف ولماذا؟!

وهذا هو معنى ان الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء. فكل اسلام لا يعرف الحسين أو رافض له هو إسلام غير محمدي، وإنما هو إسلام رسمي سلطوي مرتبط بالبلاط وقنوات دعاياتهم ومنابر تزويرهم. فالحسين قضية وليس شخصاً، خط وليس تاريخاً، رسالة وليس طقوساً.

اذ ان الإسلام لولا دم الحسين لما بقي منه شيء ولضاع كله كما ضاع جزؤه. فقد قال الوصي الاكبر الإمام علي عليه افضل الصلاة وأجل السلام، قولته المعروفة: «لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه».

يقول الزهري: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق، وهو وحده يبكي، قلت: ما يبكيك؟!

قال: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد ضيعت»[1].

---

(١) جامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤، وايضاً: ضحى الإسلام ج١ ص٣٦٥ والجامع الصحيح ج٤ ص٦٣٢ والزهد والرقائق ص٣١ وفي هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمة أنس، وعن الترمذي، وعن البخاري ج١ ص١٤١.

وقد صرح بذلك الحسن البصري حيث قال:

«لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ما عرفوا منكم إلا قبلتكم»[1].

كما روى مالك بن أنس، إمام المذهب المالكي، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال:

«ما أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاة»[2].

قال الزرقاني، والباجي، تعليقاً على ذلك:

«يريد الصحابة، وأن الأذان باق على ما كان عليه، ولم يدخله تغيير، ولا تبديل، بخلاف الصلاة، فقد أخرت عن أوقاتها، وسائر الأفعال دخلها التغيير الخ»[3].

وقد أخرج الشافعي من طريق وهب بن كيسان، قال:

---

(١) جامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤.

(٢) الموطأ النسخة المطبوعة مع كتاب تنوير الحوالك ج١ ص٩٣. وانظر ايضاً جامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤.

(٣) شرح الموطأ ج١ ص٢٢١ وتنوير الحوالك ج١ ص٩٣/٩٤ عن الباجي.

«رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال: كل سنن رسول الله قد غيرت، حتى الصلاة»[1].

وكان أبو الدرداء يقول:

«والله لا أعرف فيهم من أمر محمد شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً»[2].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول:

«لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية، لأتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه»[3].

فإذا كان الإسلام قد بات مجرد اسم وقشر وهو في مراحله الاولى تلك فكيف يطمأن على الإسلام في بقية المراحل؟!

لا بد إذاً من قربان رباني يكون الراية التي تذكّر وتوجه السائرين إلى الله وعبوديته الحقيقية، والى ناحية الحرية وصنع

---

(١) كتاب الأم للشافعي ج١ ص٢٠٨ والغدير ج ٨ ص ١٦٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٤٤.

(٣) الزهد والرقائق ص ٦١.

الانسان العدل. لا بد هذه المرة من ذبح ابن ابراهيم فقد قست القلوب واظلمت العقول، وكيف والامة تتحول من بدو جياع إلى وسائد من الحرير مليئة بالذهب والفضة؟!

ومن هنا ايضاً تفهم لماذا لايكون الحق إلا وتراً، فالثاني ظل للشاخص والظل سراب زائل وإن بدا كبيراً ولا تلاحظ الكثرة ذي الظل، إذ انها لا تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور.

محراب المعنى وقبلة القرب الإلهي

«السلام عليك وعلى الارواحِ التي حلت بفنائك، عليكم مني جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار».

قال الراغب الاصفهاني:

«الرَّوح والرُّوح في الاصل واحد.. (يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي - ونفخت فيه من روحي) وإضافته إلى نفسه إضافة مِلكٍ وتخصيص بالاضافة تشريفاً له وتعظيماً. كقوله: (وطَّهر بيتي - ويا عبادي) وسمى أشراف الملائكة أرواحاً نحو: (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً - تعرج الملائك والروح - نزل به الروح الامين) سمى به جبرئيل وسماه بروح القدس»[1].

---

(١) الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة روح.

في الحقيقة ان الروح هي عنوان الحياة «الناس على اختلافهم الشديد قديماً وحديثاً في حقيقة الروح لا يختلفون في أنهم يفهمون منه معنى واحداً وهو ما به الحياة التي هي ملاك الشعور والإرادة»[1].

وبما أن الدين همه الحياة الجوهرية والتي هي حياة المعنى، عد الذين لا يسمعون كتاب الله ودلائله أمواتا. وفي هذا المقام افاد السيد العلامة الطباطبائي:

«وأما حقيقته إجمالاً فالذي يفيده مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ النبأ: ٣٨، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ المعارج: ٤، وغيرهما أنه موجود مستقل ذو حياة وعلم وقدرة وليس من قبيل الصفات والأحوال القائمة بالأشياء كما ربما يتوهم، وقد أفاد بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أنه من سنخ أمره، وعرف أيضاً أمره بمثل قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يس: ٨٣-٨٤، فدل على أنه كلمة الإيجاد التي يوجد

---

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في القرآن تفسير، سورة النحل الآية ٢.

سبحانه بها الأشياء أي الوجود الذي يفيضه عليها لكن لا من كل جهة بل من جهة استناده إليه تعالى بلا مادة ولا زمان ولا مكان كما يفيده قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠...

فتحصل أن الروح كلمة الحياة التي يلقيها الله سبحانه إلى الأشياء فيحييها بمشيئته، ولذلك سماه وحياً وعد إلقاءه وإنزاله على نبيه إيحاء في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢، فإن الوحي هو الكلام الخفي والتفهيم بطريق الإشارة والإيماء فيكون إلقاء كلمته تعالى - كلمة الحياة - إلى قلب النبي ﷺ وحياً للروح إليه، فافهم ذلك»[1].

فالإخلاص هو مهبط الروحانيين فحينما وجد الاخلاص وجدت الأرواح وسلامهم. فالإخلاص واهب الملائكة والارواح، والارواح مُكملة للاخلاص ورافعة له إلى منزلة اعلى في القرب الإلهي.

---

(١) الطباطبائي الميزان سورة النحل الآية٢.

وقد أتى السلام في هذه الزيارة على رسول الله وعلى الإمام علي وعلى فاطمة وعلى الإمام الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى اولاد الحسين وعلى اصحاب الحسين. وقد تكرر مقطع «وعلى الأرواح التي حلت بفنائك» مرتين في الزيارة. ونحن حين نعرض هذا المقطع على القرآن الكريم نجد أن القرآن يرمز إلى الجزء الاسفل من وادي الانحدار القيمي والاخلاقي والمعنوي بـ الإخلاد إلى الارض. حيث الجسد والشهوات وضيق الأنا وعدوانية النرجسية. والى سلّم الارتقاء بالعبودية الذين يتميزون بياء الانتساب الشرفي «عبادي» والذين جزء منهم الملائكة المقربون. وهناك بعض العباد أرفع من بعض فبعضهم مخلِص (بالكسر) وبعضهم مُخلَص (بالفتح) الذين قال عنهم الله في القرآن بأنهم لا سبيل لإبليس بالتأثير عليهم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾. فهناك من منزلته ﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهناك من منزلته حسب التعبير القرآني ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فمرة الصلاح هو العمل وليس الذات. وتارة الذات هي الصالحة، وفرق شاسع بين المنزلتين كفرق الصفة عن الجوهر والأثر عن المؤثر.

ومن هنا تفهم بشكل أدق لماذا تم افتتاح الزيارة بكنية الإمام الحسين المرتبطة بالعبودية ولم تذكره بالاسم. فالعبودية انتساب إلى الحق وتسليم مطلق اليه، وهي أرفع درجة الصديقين.

وبالجملة فمعنى كون العمل الفلاني محفوفاً بالملائكة هو كونه عملاً مباركاً ومقبولاً، كما يدل على ذلك احاديث ومرويات طلب العلم مثلاً. والزيارة تصور الإمام الحسين مركزاً وقطباً وعلى فنائه تهبط الملائكة أما المركز فهو أكثر اجلالاً واشرف قدراً، لذا فالملائكة تهبط بفنائه ولا تخترقه، وكأنها بهذا تتقرب إلى الله بقربها من الفناء وليس العكس بأن يكون الإمام الحسين قريباً من الله بدلالة هبوط الملائكة. وهذا غير مستنكر فقد دل القرآن والاحاديث والروايات على رفعة مكانة الشهيد فكيف بسيدهم؟!

أما عبارة «**ما بقي الليل والنهار**» فهي مرتبطة بمفردة «السلام عليك يا أبا عبدالله». فهذه الزيارة مستحب زيارتها في كل وقت، فهي حبل من الحبال المنجية من سجن بؤس الراهن والالتحاق بجنب الصالحين. فليس ثمة اختصاص لوقت دون

غيره، انا يا ابا عبدالله مرتبط بك في كل حال وفي جميع شؤون حياتي، خطي خطك ونهجي نهجك، احاول التمسك به رغم مصارعة مشاغل الحياة ومشاكلها. انا اتمسك بك بقاء الليل والنهار، أي دائماً وأبداً. فالسقوط في بؤس الراهن سببه نقص في العزم الذي يتسبب عنه الفتور وعنه يزول اخلاص القصد والتوجه الذي هو معنى«السلام عليك» حقيقة. لذا قال أرباب القلوب إن تهذيب القصد هو تصفيته من ذل الإكراه وحفظه من مرض الفتور ونصرته على منازعات العلم. بمعنى ان تهذيب القصد هو تخليص النية وقصد سلوك الطريق والخدمة عن جميع الاغراض والاعواض، حتى يكون قصده في الرياضات والعبادات عن طوع منه وذوق منبعث عن محبة صادقة للمقصود المحبوب[1]. وعلى هذا الاساس يكون ذكر الملائكة هنا تشجيعاً للقلب ورفع همة الفؤاد أن لا يتحجر عند غايات صغيرة مثل طلب الأجر والثواب وتحقيق استجابة الدعاء المتعلق بأمور دنيوية. فإذا كانت الملائكة تهبط في

---

(١) ص١١٨ كمال الدين عبدالرزاق القاساني، شرح منازل السائرين، طبعة مكتبة الفردوس.

الفناء فكيف يتم ربط القلب بالأغلال؟!

ونعم ما قاله السيد الخميني رحمه الله، في مثل هذا المقام[1]:

فتبّاً لعبدٍ يدعي العبودية ثم دِعا سيده ومولاه بالأسماء والصفات التي قامت بها سماوات الأرواح وأراضي الأشباح، وكان مسؤوله الشهوات النفسانية والرذائل الحيوانية والظلمات التي بعضها فوق بعض والرياسات الباطلة وبسط اليد في البلاد والتسلط على العباد. وكم أن نفوسنا ضعيفة فلا تأخذ من شلال نور سوى القطرات المتساقطة على الغصونٍ البعيدة بينما غيرنا يقفز بأناة صوب الشلال محتضناً ذلك النبع العظيم.

---

(١) الامام الخميني، شرح دعاء السحر.

الحزن والنكبة أو وجع الإسلام الخالد

«يا أبا عبدالله لقد عظمت الرّزية وجلّت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، وجلّت وعظمت مصيبتك في السَّماوات على جميع أهل السماوات».

وهذا المقطع هو نتيجة ما سبقه من نصوص. فالإمام الحسين ابن رسول الله الأعظم، ونجل الإمام علي الوصي الاكبر، وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي تركت علامة عملية على تزوير الإسلام وتحويله إلى نهج سلطاني. وكذلك الحسين ترك إشارة عملية سجلها بدمه ودم اولاده واخوانه. وهذا الرجل الذي بفنائه تهبط الملائكة فهو جزء من بيت الوحي والنبوة ووريث تعاليم الرسالة. يتم التعريض به وذبحه بعد عذاب طويل، وسبي حريمه، وممارسة التزوير

بحق مظلوميته هو واهله. بتحويلهم إلى خارجين على امام زمانهم، وتصوير الجلاد الخليع المتلاعب بمقدرات الشعب والامة بأنه إمام عادل وخليفة الرسول الكريمﷺ.

الله سبحانه ليس بينه وبين أحد قرابة. إذاً فالمصيبة بالحسين هي مصيبة ضرب خط الرسالة وتعاليمها الالهية. عظمت الرزية في السماوات لكون المذبوح احد المُخلَصين لله جل وعلا، فتم التنكيل به وقتله ببشاعة الوحوش الكاسرة والبهائم الضارية. وهي مصيبة الإسلام وكل مسلم لكون هذا قطع لتعاليم النبوة، وحرمان من رزق السماء في توضيح طرق القرب إلى الله تعالى وإرشاد القوى الشهوية والغضبية للإنسان. فبالاضافة إلى قتل الحسين تم إعفاء قبره سنوات طوال (كما حصل لأمه الزهراء تماماً) ثم جرى تشويه حركته، وفي ذلك اعتداء على حرم الله ومقدساته. فبحسب قاعدة القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[1] فبيت الله ليست الحيطان وإنما بيت قلب

(١) القرآن، سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

المؤمن، فما هو حسي لا يسع المجرد، أما القلب فروح يتنزل من عنده ويصعد اليه بالكلم الطيب.

فالمصيبة بالحسين مصيبة خط ورسالة. بأن يرتدي إبليس عمامة الاولياء ويطرح الشر خيراً والخير شراً. ويصور الإسلام وثنية والوثنية اسلاماً، حسب نهج تقبيح الحسن وتحسين القبيح.

وهذا المقطع ككل مقاطع الزيارة الشريفة لا يفارق التوحيد طرفة عين، لذا تجد استعمال اسم الجلالة «الله» وليس صفة من الصفات الإلهية أو اسماً محدداً من الاسماء الحسنى. وهو مقام التوحيد الذاتي. كما تجد ذلك الارتباط الشديد بالربوبية في الزيارة فسوف نقرأ في المقاطع التالية عبارات «اكرمني» «أن يرزقني» وهو مقام توحيد الافعال. أما التوحيد الصفاتي فقد سكتت عنه الزيارة، كإشارة لطيفة بأن توحيد الصفات يتحقق من خلال الارتباط بأهل البيت وولايتهم، ومن راجع الروايات الشريفة فهم مغزى حديثنا.

ولاحظ هنا صيغ العموم «علينا» و«جميع أهل الإسلام» فأهل البيت هي ليست مصيبة مذهب دون مذهب، بل هي

مصيبة جميع المسلمين كافة.

كما أن هذه المفـردات تـشير إلـى ان النكبـة لا تحـصل نتيجة أفراد وإنما بسبب تقصير الامة. فالتقصير بسبب العموم فالآلام الناتجة سوف تقع على رقاب العموم ايضاً. لذا فالألف واللام في «أهل الإسلام» ليست للاختصاص وبيان المنزلة، إذ الرزية واضحة لا شك فيها وغير ملتبـسة فكـل صـاحب روح وضمير يستشعر ضخامتها وعمق المصيبة فيها.

ألق الروح وعتمة التاريخ

«فلعن الله أمةً أسست اساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها. ولعن الله أمةً قتلتكم ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم. برئتُ إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم».

اذا كان المقطع السابق هو مقام دهشة الحزن والاصطدام بالفاجعة والمصيبة فإن هذا المقطع هو بيان تفجر الغضب والفزع إلى الله. فالجريمة واضحة فكيف لا يكون الانكار واضحاً؟!، الجريمة علنية فكيف يبقى المجرم مستوراً؟!

واللعن مفردة قرآنية طالما كررتها الآيات الكريمة وأصرت عليها فتكررت عشرات المرات، دلالة على شرعيتها.

فلا قيمة لتلكم الاصوات التي حاولت شطب آلية اللعن، كنوع من تخفيف الجرائم والتساهل مع القتلة والظالمين.

اللعن هنا جزء من قيمة شجاعة الكلمة والتضامن الجماعي مع الحق، وطريقة تربوية لإبعاد الناشئين عن مواطن الرذيلة واصدقاء السوء، وجنود الانحراف.

ويبتدأ اللعن على المؤسسين للظلم والفساد اولاً، لكونهم أئمة الظلم والضلال والهداية إلى النار. أولئك الذين قلبوا الإسلام وألبسوه للأئمة مقلوباً كما قال الإمام علي«ليس الإسلام لبس الفرو مقلوباً». أولئك الذين دفعوا أهل البيت صلوات الله عليهم، عن مقاعد التعليم والإرشاد والقيادة، وجعلوهم معارضة أقلية، وعرضوهم إلى أشد انواع التعذيب والإبادة. بل ونفي الشفاعة والتعليم وكأن القرآن لم يقل ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾؟!

بل إنهم شيئاً فشيئاً اخذوا ينفون قانون العلية من الأساس تاركين كل شيء بيد السلطة!.

إن التأسيس لظلم أهل البيت هو تأسيس لجعل الإسلام

منقسماً إلى إسلام رسمي تابع للسلاطين والحكام. وإسلام حقيقي مرتبط بالأقلية المُضطهدة.

ثم ينتقل النص الشريف إلى لعن الممهدين. أولئك الصنف من البشر الجبان عن مباشرة القتل والسرقة، فيقوم بإعانة الاشد من شركاء الجرمية هؤلاء، هم محنة الأمة فهم ايدي الشيطان رجله وخيله.

ثم ينعكس اللعن إلى لعن كل من رضي بفعل الجريمة وكل من أعان على إشاعة الثقافة المُؤزرة المضطهدة لأهل بيت النبوة، المادحة للطغاة والمفسدين باسم الصحابة. فهي لا تهتم لا بالأفعال ولا بالأقوال وإنما بالاسماء والالقاب.

وكما أن متابعة الحق تكون بالقلب واللسان واليد، كذلك الانتماء إلى اعداء القرآن، يكون بالقلب واللسان واليد. فالامر ليس متابعة اشخاص وانما خط الرسالة الذي تم دفعه إلى خلف مسرح المشهد الإسلامي. والامر ليس تعمية على شخصيات أهل البيت ونصر بعض الاسماء التاريخية فقط، انما هو تعمية على قضية الحق ومحاولة قبرها باعلام يناصر خط الظالمين، ابتغاء المتاجرة بالتاريخ وعماء الأمة والشعوب،

كي يبقى الظلمة متسلطين على الرقاب هم وفقهاؤهم وكوادر اقلامهم ومنابرهم، باسم الشرعية الاسلامية. هؤلاء الذين ذبحوا أهل البيت وأخفوا تعاليمهم ومنزلتهم، يستحقون اللعن مثلما لعن الله محرفي الكتاب، الذين اشتروا به ثمناً قليلاً. فالمقاطعة هنا ليس مع شخص الظالمين فقط وإنما مع كادرهم الثقافي وأجندتهم المالية والعسكرية ايضاً.

التحرر بالحق أو تمزيق الاعلام السلطاني

«يَا أبَا عَبْدالله، إنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ وَوليٌّ لِمَنْ والاكُم وعدوٌّ لِمَنْ عَاداكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَة، وَلَعَنَ اللهُ آل زِيَاد وَآلَ مَرْوانَ، وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قاطِبَةً، وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجانَةَ، وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْد، وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أسْرَجَتْ وَألْجَمَتْ وَتَهيّأتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقتالِكَ، بِأبِي أنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصابِي بِكَ، فَأسْألُ اللهَ الّذي أكْرَمَ مَقامَكَ، وَأكْرَمَني بِكَ، أنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمام مَنْصُور مِنْ أهل بَيْت مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْه وَآله.اللهمّ اجْعَلْني عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالحُسَيْنِ عليه السلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المقَرّبِينْ».

هذه المفردة «يا أبا عبدالله» هي صرخة حب وهيام. بخلاف «يا أبا عبدالله» في بداية الزيارة التي هي للتعريف والتوجه. فكأن كل ما سبق من مراحل رغم كونها جزءاً من منازل السائرين، إلا أنها بالنسبة لمنزلة اللقاء حجاب. هنا التفات إلى كون جميع المنازل السابقة رغم كونها من نور وارتباط إلا انها ما بلغت لحظة العناق. ما سبق تعريف، والآن رتبة الجذب. لذا جاءت المفردات بأجمعها حاملة لكاف الارتباط «مقامك»، «بك»، «ثارك».

وإذا كانت جذبة الحب اشد، فإن لوعة الفراق اصعب. لذا لا ارتواء باللعن الاجمالي السابق. فأتى اللعن الآن مفصلاً محدد الاسماء والاشخاص. لحظة الحب اقوى فكانت تستدعي لحظة من الشجاعة أرقى. هنا يتم تعرية السلطة المزيفة. يتم الإعلان عن زيف التاريخ الذي كتبته اقلام البلاط الفاسد. مع حماسة الحب والوصول إلى التعلق المطلق بالحق يتم الاعلان ليس فقط عن مفارقة السلطة الظالمة ورجالها وتحدي اعلامها المرتشي المشارك بالقتل والإبادة والظلم

والتضليل، وانما إلى شحن طاقة العمل لإسقاط هـذه الـسلطة المزورة، فالثأر لأهل البيت معناه تحقيق العدل.

فأهل البيت هو شعار المظلومين والمستـضعفين، «أهـل البيت» هو شعار لحظـة أمـل، وإعـادة شـحن الطاقـة الذاتيـة للانسان والشعوب، لتمزيق الاعلام السلطوي والوصـول إلـى وجه الحقيقة. فالحق يحـرر الانـسان ويجعلـه صـاحب قـوة متفجرة تفـيض بالحركـة والمقاومـة، والأنفـة مـن الـسكوت ومراءاة الظالمين والمفسدين وعمائم واقلام السوء.

لذا فجملة «**اللهمّ اجْعَلْني عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالحُـسَيْنِ عليه السلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وِمِنَ المُقَـرّبينْ**» هـي جـزء مـن هـذا المقطـع وليست ملتحقة بالمقطع الآتي كما في بعـض النـسخ. إذ انهـا عودة إلى صرخة «يا أبا عبدالله» وبيان أن لا وصول إلـى قـوة فضح السلطة الظالمة واعلامها الفاسد، ومن ثـم لا قـوة لنيـل طلب ثأر الحسين مع إمام الحق، إلا بالوصول إلـى أن يكـون الشخص وجيهاً بهذا الموقف. وإذا لـم يكـن الحـسين بـاب الرحمة إلى الله واستجابة الدعاء. ومشعل الضوء لإبصار الحق

ومن ثم الامتلاء بطاقة الحركة والتغيير، فإنه لن يستطيع الوصول إلى ذلك بغير منهج وطريق. فمن لم يهده الضوء لن تهديه الظلمة. والشخص الذي لم تحركه كل تلك التضحيات من الحسين، التي بلغت النفس والابن الرضيع، فلن تحركه اية قضية أخرى.

وقد تم دمج آل زياد وآل مروان بلعن واحد «اللهم العن بني امية قاطبة» بعد اللعن التفصيلي كل واحد على حدة. زيادة في اللعن أولاً. وثانياً لكون بعض الاعمال عمل بها كل واحد بمفرده حسب طمع كل واحد منهم. وهناك عملوها جماعة باعتبارها فرقة واحدة وحزباً واحداً. ثم بعد ذلك يأتي ذكر أسماء مشخصة عمر بن سعد وشمراً. باعتبارهم شذاذ الكتلة الاموية وبكونهم الايدي الآثمة التي اقترفت فعل القتل والترويع والسلب والتنكيل بعائلة النبيﷺ. وبالتالي هم النموذج التطبيقي لشياطين هذه الأمة، فهم ليس لم يعترفوا بالرتبة الإلهية التي أعطاها الله لأوليائه، كما في آدم، وإنما قتلوهم ايضاً.

وهذا تدرج يبين أن من في البلاط هو سلطة غير شرعية وفاسدة باعتبار وجود دليل ملموس وعملي وهو مقتل الحسين وعائلته على يد جنودهم ومرتشيهم. المقاومة هنا تشتد لتعرية أسس الشرعية الفاسدة للطاغية ومؤسساته.

مشيئة الدم

« يَا أبَا عَبْدالله، إنِّي أتَقَرَّبُ إلى الله تعالى، وَإلَى رَسُوله، وَإلى أمير المُؤْمنينَ، وَإلَى فاطمَةَ، وإلى الحَسَن وَإلَيْكَ بمُوالاتكَ، ومُوالاة أَوليائك وَبالْبَرَاءَة ممَّنْ قَاتَلَكَ ونَصبَ لَكَ الحَربَ، وبالْبرَاءة ممَّنْ أسَّسَ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَعلى أشياعكُم وَأبْرأُ إلى الله وَإلى رَسُوله وَبالبراءة ممَّنْ أسَّسَ أساسَ ذلكَ، وَبَنى عَلَيْه بُنْيانَهُ، وَجَرَى في ظُلْمه وَجَوْره عَلَيْكُمْ وَعَلَى أشْياعكُمْ، بَرئتُ إلى الله وَإلَيْكُمْ منْهُمْ، وَأتَقَرَّبُ إلى الله وَإلى رَسوله ثُمَّ إلَيْكُمْ بمُوالاتكُم وَمُوالاة وَليِّكُمْ، وَبِالْبَرَاءَةِ منْ أعْدائكُمْ، وَالنَّاصِبينَ لَكُم الحَرْبَ،

وَبالبَرَاءَةِ منْ أشْياعِهِمْ وَأتْباعِهِمْ، يا أبا عَبد الله إنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَـرْبٌ لِمَـنْ حـارَبَكُمْ، وَوَلـيٌّ لِمَـنْ والاكُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ، فَأسْألُ اللهَ الّـذي أكْرَمَنـي بِمَعْرِفَتِكُمْ، وَمَعْرِفَـةِ أوْلِيـائِكُمْ، وَرَزَقَنـي البَـراءَةَ مِـنْ أعْدائِكُمْ، أنْ يَجْعَلَني مَعَكُمْ فـي الـدُّنْيا وَالآخِـرَةِ، وَأنْ يُثَبِّتَ لي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأسْألُهُ أنْ يُبَلِّغَني الْمقامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْـدَ الله، وَأنْ يَرْزُقَنـي طَلَبَ ثَاري مَعَ إمَام مَهْديٍّ ظَاهر نَاطق بـالحقِّ مِـنْكُمْ، وَأسْألُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبالشَّأنِ الّذي لَكُمْ عِنْدَهُ أنْ يُعْطِيَنـي بِمُصابي بِكُمْ أفْضَلَ ما يُعْطي مصاباً بِمُصيبَتِه، يـا لَهـا مِنْ مُصيبَةٍ مَا أعْظَمَها وَأعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الإسلام وَفِـي جَمِيعِ أهل السَّماوَاتِ وَالأرْضِ».

بما أنه قد حصل دهشة في المقطع الثاني، بسبب الوله والتعلق بعد ادراك الفاجعة. جاء هذا المقطع بمثابة الافاقة والعودة إلى الوضوح. فكان هذا المقطع عودة إلى مقدمة

الزيارة، من ان الإمام الحسين حلقة في سلسلة الهدى وجزء من طريق الرشاد. وأن عمر الابطال والمخلصين يطول بقتلهم فهم رسالة وليس أشخاصاً.

في هذا المقطع محاولة للتشبث اكثر بالحسين، محاولة للتشدد على التمسك به. بعد ان كان المقطع السابق بداية الافصاح التفصيلي للمجاهرة برفض السلطة الجائرة والحكومات المستبدة الفاسدة. واذا علمنا ان الحكومات كانت، ولا زالت، تتخذ من الإسلام غطاءً لشرعيتها، كان هذا المقطع بمثابة تعرية لها واعطاء الدليل على كذبها. فهذه الحكومات قتلت الحسين، أو سكتت عن نصرته، أو اعانت على تشويه صورته، رغم أن الحسين هو ابن النبي ابن الإمام علي، ابن فاطمة الزهراء، ابن الإسلام، ابن العقيدة. فكيف تكون هذه الحكومات شرعية إذاً؟!

في الخبر عن يحيى بن عبدالله بن الحسن، قال سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «عجباً للناس يقولون أخذوا علمهم كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعملوا به واهتدوا ويرون أنا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به، ونحن اهله

وذريته؟!!. في منازلنا أنزل الوحي، ومن عندنا خرج إلى الناس العلم، أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟!، إن هذا محال»[1].

وهو استدلال وجداني واضح. كيف يكون فلان صحابياً جليلاً وهو لم يصاحب النبي إلا بضعة اشهر فيكون جميع التاريخ وقفاً عليه، بينما يتم طرد أهل البيت ولا يعتبرون حتى صحابة عاديين، تؤخذ رواياتهم في مسائل الوضوء والخمس والزكاة والطلاق وما شاكل!!

وعليه فهذه الحكومات ووسائل إعلامها ورجالات فقهائها، هم حكومات جور، وهؤلاء الأئمة هم أئمة ضلال ووسائل تزوير وغش. في هذا المقطع جاء الرفض شاملاً لكل متعاون مع مؤسسات الغي والفساد، حتى الذين يصادقون الظالمين فصديق الظالم ظالم مثله. إنها لحظة صمود وسمو واحساس بالامتلاء. فالحق يحرر الانسان من الخوف والركوع للمطامع الشخصية والأنانيات الجماعية.

---

(١) بصائر الدرجات ص١٢، بحار الانوار ج٢ص١٧٩، الامالي للمفيد ص١٢٢.

كأن الفرد عرض نفسه للخطر في اعلانه في المقطع السابق لرفضه للظالمين، قد يحصل تردد.. خوف أو تراجع، أو ترهيب وترغيب، من اجل التراجع عن الموقف. فيأتي هذا المقطع ليؤكد الموقف، ويعزز القرار، ويعيد الاطمئنان إلى النفس. ومن هنا كرر هذا المقطع بعض الفقرات السابقة، تأكيداً وإصراراً على نصرة الحق وفضح الظالمين ورفض منح وتهديدات ثقافة التزوير.

ومن أجل تحصيل قدر من الشجاعة اكبر، جاء الدعاء بمعرفة اولياء الحق، كي يتحقق الاحساس بالجماعة وأن الزائر ليس فرداً وحيداً، بل هنالك ناصرون آخرون. فكما ان التمسك بالحق يعني البراءة من كافة انواع الظالمين والمرتشين والمنتفعين، الصامتين أو الناطقين، الظاهرين أو المتسترين. فإن التمسك بالحق يعني استشعار بقية الموالين والمناصرين ايضاً.

ثم يعود النص إلى الخطاب الفردي «يعطيني »، «بمصابي»، «ثاري»، «اجعلني»، فكأن الجماعة المنتصرة للحق المهتضم والحقيقة المغيبة، شخص واحد. أو أن المقطع يعود

إلى الخطاب الفردي استشعاراً بأن ذكر الظالمين حقق بعض الوقت الذي فصل بين المحب والمحبوب، فتهاوت الروح العاشقة مرة اخرى على جثمان فقيدها الغالي. وقد يكون استخدام خطاب الفرد توضيحاً لكون نصرة الحق، هو واجب يقع على كل فرد، ولا يسقط بنصرة جماعة من الجماعات أو فرد من الأفراد.

اما عبارة «**وَأسْأَلُهُ أنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ**» فهي تماثل العبارة الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة. وقيل في معنى هذا المقام وتوضيحه بكونه «عند الله» وليس عند أي مقام آخر. انه يراد منه أن هذا المقام المعلوم أعده الله لهم عليهم السلام يوم القيامة أو في الجنة أو في المكانة والقرب منه تعالى على الاحتمالات الثلاثة.

و«عند الله» أي في ملكه، والنسبة اليه تعالى إشعار بالاختصاص التشريفي على نحو الادخار لهم عليهم السلام. ويستفاد من إخبارهم أن هذا المقام المشار إليه أعلى المقامات وأشرفها عنده وأحبها اليه وهو حمولة قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ الشارح له الحديث القدسي «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] وكونهم هم معاني الحق وتحقق أسمائه[2].

---

(١) بحار الانوارج٣٩ ص٥٥.

(٢) احمد زين الدين الاحسائي، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٤ ص٢١٤، طبعة مكتبة العذراء ٢٠٠٣.

الانتماء العقلي لا العقل الانتمائي

«اللهُمَّ اجْعَلْني في مَقـامِي هـذا مِمَّـن تَنالُـهُ مِنْـكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ، اللهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَمَماتي مَماتَ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد».

بواسطة الموالاة والبراءة اللتين حملهما المقطـع الـسابق، قد تحقق العمل والآن حـان دور الترقـب للاسـتجابة وفـيض الرحمة.في المقطع السابق تم تقديم الشخص لنفسه بأنه حاوٍ لشروط العمل، والآن جاءت لحظـة القبـول. فتلـك الـشروطُ كانت هـي شـروط الانتمـاء لمعـسكر الحـق فـإن تـم قبـول الشخص فمعناه انه سـيحيى حيـاة محمـد وآل محمـد، وانـه بالتالي يتمنى ان يموت ميتتهم، الموت في سبيل الحق كـآخر عطاء ممكن. إذ ليس كل من حيا للحق مات من أجله أيـضاً.

فهذا دعاء بحسن العاقبة كأجل أخير للاستقامة على الحق.

وهذا المقطع عودة إلى التوحيد والتمسك به، بأن لا يكون الشخص بولايته لأهل البيت عليهم السلام، وبراءته من أعدائهم، هو من اجل بعد نفسي أو انتماء عائلي أو عشائري أو جغرافي، ان لا يكون انتماءه لأهل البيت وإعلانه محبتهم وبغضه لأعدائهم، طريقاً للتكسب والمعاش. أو من أجل تحقيق حاجات مصالح ومنافع شخصية أو قومية، وإنما هو تمسك ورجاء بالله سبحانه، ان يكون الولاء لأهل البيت من اجل أنهم الحق وشعار العدل والخير وباب القربة اليه سبحانه. فقد عاش محمد وآله من اجل الله وحده وماتوا وضحوا من أجله، لذا فالدعوة من الشخص أن يحيى حياتهم ويموت مماتهم أنه يرجو الإخلاص في موالاته لهم وبراءته من أعدائهم. فهو علامة الطريق القرآني المستقيم، والباب الذي أمر الله ان ندخل بيت قربه ورضاه منه.

ومن هنا يتبين بأن التشيع مسؤولية وليس مذهباً. هو موقف عن روية وبصيرة وبرهان، وليس أيديولوجيا مغلقة. أو لافتة إعلانية من قبل منابر السلاطين وفقهاء بلاطهم. لذا أصر

علماء التشيع منذ القدم على حرمة التقليد في اصـول الـدين، وهو نقيض قول الشافعي ومالك وابو حنيفة وآخرون، حيـث حرموا البحث والنظـر، مـن اجـل ترسـيخ الـولاء بـلا بـراءة، والعمل بلا نظر، وهو مخـالف لـنص القـرآن الكـريم حيـث عشرات الآيات الداعية إلى التعقل والبحث والنظر، وكفى بـه دلالة.

العقل الأسير

«اللهُمَّ إنَّ هَذا يَوْمٌ تَبرَّكَتْ به بَنُو أُمَيَّـةَ وابْــنُ آكلَـةِ الاكْباد، اللعينُ ابْنُ اللعينِ عَلَى لسانكَ ولسان نَبيِّكَ صَلّى الله عَلَيْه وَآله في كُلِّ مَوْطن وَمَوْقف وَقَفَ فيه نَبيُّكَ صَلّى الله عَلَيْه وَآله.اللهُمَّ الْعَنْ أبَا سُـفْيانَ وَمُعَاويَـةَ وَيَزيـدَ بْـنَ مُعَاويَةَ وآلَ مَرْوانَ عَلَيْهمْ منْكَ اللعْنَةُ أبَدَ الآبِـدينَ، وَهــذا يَوْمٌ فَرحَتْ به آلُ زيَاد وَآلُ مَرْوانَ عَلَـيهمُ اللَّعْنَـةُ بقَـتْلهمُ الحُسَيْنَ عليه السلام. اللهُمَّ فَضاعفْ عَلَيْهمُ اللعْنَ وَالعَذابَ الأليم.

اللهُمَّ إنِّي أتَقَرَّبُ إلَيْكَ في هذَا اليَوْمِ، وَفـي مَـوْقفي هَذا، وَأيَّامِ حَيَاتي بالبَرَاءَة منْهُمْ، واللعْنَة عَلَيْهمْ، وَبالْمُوالاة لنَبيِّكَ وَآلِ نَبيِّكَ عَلَيه وعَلَيْهمُ السَّلامُ».

الموالاة والبراءة أمور عملية سلوكية وليست اقوالاً لفظية أو تخرصات من ورق. والبراءة مفردة قرآنية، والكتاب المقدس مفرداته تناشد سلوكاً لا سماع ولا ثمر فيه فهذا معناه أن الاشخاص يقولون ما لا يفعلون، وهو ارتكاب للكذب العملي والنفاق الاجتماعي والممالأة السياسية والجبن عن مجابهة القوى المالية والسلطانية، وهو ضعف في الايمان يناقض الخطاب القرآني الداعي إلى اليقين.

تصر الزيارة على مناقضة الخط المعادي لأهل البيت، حيث البراءة منهم واللعن عليهم في هذا اليوم المهيب وجميع ايام الحياة وشتى المواقف، يعني الزام الشهوات والرغبات ان تجنح أو تخل فيوهن العزم، ويقع الفتور وإذا بنا انتقلنا إلى الجهة الاخرى حيث معسكر الجهل والضلالة والإغراء الذي يراهن على بيع النفس بثمن بخس لايتعدى قطعاً معدنية أو لحوماً شهية سرعان ما سوف تتهرى وتكون غذاءً للدود.

وإذا كان الايمان ينتقض بقول يخالف الدين فكيف لا ينتقض بفعل يهتكه، بل كيف إذا كان هذا الفعل هو قتل بيت الرسالة والاسرة النموذجية للمجتمع الإسلامي؟!.. هل نقول

إن هولاء صحابة وكتبة وحي بمجرد انهم شهدوا الشهادة قولاً، بينما هم قتلوا أسرة الإسلام الأولى عملاً؟!.. هل يقدس شخص يقال انه خط كلمات القرآن على قرطاس بينما هو انتهك الاسرة التي نزلت فيها عشرات الآيات، وهي المعلم الاول للقرآن.. أليس تقديس هكذا شخصيات هو إعلاء للنفاق على الايمان؟!

ولفظ «تبركت» تدل على مسائل ثلاث:

الأولى: إن هؤلاء قد قلبوا الإسلام ظهراً على بطن فهم يتبركون بقتل أولياء الله وبيت النبوة، بحجة أنهم السلطة الشرعية وانهم خلفاء النبي. فهنا لايوجد اكتفاء باقتراف اكبر جريمة بحق الأمة وشريعتها، وإنما ايضاً القيام بتزوير الواقع وقتل الدين باسم الدين وتحويل الجلاد إلى ضحية أو الشيطان إلى نبي.

الثانية: أن بني أمية والسائرين على خطاهم وذهنيتهم وثقافتهم، لشدة انحدارهم في الظلمات النفسية والعمى القلبي باتوا يرون الواقع معكوساً، فبات الهدى لديهم ضلالاً والضلال هدى، وهو مقام انتكاس القلوب وتصيير وعاء

الروح مقلوباً ومقفولاً بأطمار الشهوات، فلا يستفيد شيئاً من مطر السماء ولا من ثمرات الأرض.

الثالثة: أن القوم حسب سياقات السلطة سوف يقومون بتزوير التاريخ من اجل التعتيم على جريمة عاشوراء، وهذا ما حصل فعلاً. فبدل ان يكون يوم عاشوراء يوم حزن ومواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله، حولوه إلى يوم فرح وصوم، بدعاوى شتى مثل الاحتفال بالسنة الهجرية الجديدة وما شابه. فهذا أبو ريحان البيروني ينقل في الآثار الباقية، كما في ص٨٤ من كتاب المواسم والمراسم:

«فأما بنو أمية فقد لبسوا فيه ما تجدد، وتزينوا واكتحلوا وعيدوا، وأقاموا الولائم والضيافات، وأطعموا الحلاوات، والطيبات، وجرى الرسم في العامة على ذلك ايام ملكهم وبقي فيهم بعد زواله عنهم».

ونسبوا إلى ابن عباس احاديث شتى من اجل تحريف دلائل العديد من الآيات القرآنية كي يكون يوم عاشوراء يوم سرور ويتم نسيان ما حدث في كربلاء من انتهاك لعائلة النبي وورثة علمه وأخلاقه. حتى ان كاتباً متعصباً مثل ابن تيمية

ذاته لم يستطع الصمت على ذلك فقال كما في كتاب الصراط المستقيم ص ٣٠٠:

«وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثة (..) وقد وضعت في ذلك احاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه من الاغتسال والاكتحال (..) وأحدث فيه بعض الناس أشياء مستندة إلى احاديث موضوعة لا اصل لها»

وبالتالي يكون هذا المقطع من الزيارة الشريفة صرخة لا بوجه الاعلام السلطوي والجمع المدجن الذي تم تخديره بتراث مزيف. وأخذ ينقاد إلى قنوات الاعلام السلطاني مثل الشخص السائر في نومه.

ودلت عبارة «ابن آكلة الأكباد» والتي هي هند زوجة ابي سفيان وأم معاوية، التي اكلت كبد حمزة عم رسول الله ﷺ، أن القوم بلغت بهم القسوة مبلغاً فكأنهم شجرة الإثم التي جذورها في الارض وطلعها في سواء الجحيم. ومن هنا تفهم لماذا أكدت الزيارة على نبرة الحزن والانكسار القلبي، فقد أخبرنا الحديث القدسي «اني عند المنكسرة

قلوبهم» إذاً فما ابعد هؤلاء الذين لا يتـأثرون بمـصيبة الإمـام الحسين وأهل البيت عن الله، فقلوبهم كالحجارة بل هي اشـد قسوة.

ويأتي هذا المقطع من الزيارة لربط جريمـة كـربلاء بمـا كان يحدث في زمن النبي الاعظمﷺ. وأن مقتل الحسين مـا هو إلا جزء من حرب المشركين على الإسلام لكن هذه المرة باسم الإسلام نفسه.

بنو أمية مثل كل عصابة مغتصبة للسلطة قـاموا بمحاولـة تزوير التاريخ. فبعد ان كان أبوهم أبـو سـفيان يقاتـل النبـي خوفاً على زعامته لقريش وتجارتها والمتاجرة بالغانيات مـن النساء، اخذوا يتزعمون المـسلمين باسـم النبـي عـن طريـق وضع أحاديث مكذوبة في فضائل بني أمية، ومن خلال قتـل اسرته وأهل بيته. ونستطيع ان نعرف كيف فعلت الفتوحـات العـسكرية بنفـسية المـسلمين، حيـث صـدمة الأمـوال والمناصب. فبعدما كان ابن عباس يقول حسب رواية مـسلم في صحيحه:

«كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه»[1].

باتت الكتب تعج بمدح آل سفيان متناسين انهم هم ذاتهم من قتل خيرة الصحبة وعذبهم وهجرهم، ولا يوجد واحد منهم اعتمد عليه الفقهاء أو المفسرون في نقل حديث واحد عن رسول الله، فكيف صح إيمانهم؟!

هذا المقطع من الزيارة يحاول أن يعيد الجزء المسكوت عنه من التاريخ، ذلك الجزء الذي حاول السلاطين وفقهائهم وكتابهم، ان يدفنوه مع المعارضة.

وعلى هذا الاساس تأتي عبارة «**اللهُمَّ إنِّي أَتقَرَّبُ إلَيْكَ في هذَا اليَوْمِ، وَفِي مَوْقِفِي هَذا، وَأيَّامِ حَيَاتِي بِالبَرَاءَةِ مِنْهُمْ.. الخ**» لبيان ان الحزن والغضب ليس هو من اجل مأتم عزاء مؤقت. أو استرجاع عاطفي للماضي، وإنما هو تأبين يراد به استعادة الوجه الآخر من التراث المنسي. الاستذكار هنا محاولة لتصحيح الموقف وإعادة الامور إلى نصابها. هو إعلان بأن

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي سفيان.

التاريخ يشعر بالصداع والغثيان لكونه واقفاً على رأسه.

وهذه الزيارة تحثنا على إعادة البحث في التاريخ عبر التماس الادلة والبراهين بعيداً عن الرؤية الاستباقية والمواقف المتحيزة والتأويلات المتعجرفة. بأن نقسم التاريخ والأحاديث إلى شطرين شطر يدافع عن النبي وشطر يدافع عن آخرين، وبالتأكيد أن النبي هو احد مصادر الاستدلال والشرعية، وليس سواه خصوصاً إذا ما دار الأمر بين الدفاع عن النبي وبين الدفاع عن أسماء اخرى على حساب رسول الله ومبادئ العقل والقرآن. وعليه فالزيارة عبارة عن دعوة للنطق بالحق والدعوة اليه والذي هو أول الواجبات وبه قامت الشريعة. حيث الزيارة إعادة صرخة التوحيد الحقيقي بوجه ورثة عبدة الاصنام الذين تسلطوا على التاريخ عبر التوحيد المزور.

إسلام ضد الإسلام

«اللهُمَّ الْعَنْ أول ظـالِم ظَلَـمَ حَـقَّ مُحَمَّـد وَآلِ مُحَمَّد، وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذلكَ، اللهُمَّ الْعَنِ العـصابَةَ الَّتِي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ. اللهُمَّ الْعَنْهم جَميعاً».

هذا المقطع يقرأ مئة مرة. من باب الاصرار والتحدي من جانب. ومن اجل الامتلاء الروحي ثانياً. أو مـن اجـل الترقـي القلبي إذ ان ما يتم بقراءة واحدة، غير الذي يتحقـق بقـراءات متعددة، ثالثاً، حسب التوضيح القرآني أقرأ وأرقى. أو من اجل التثبيت القلبي لصعوبة الموقف رابعاً.

وربط العصابة التي قاتلت الإمـام الحـسين، بـأول ظـالم لمحمد وآل محمد، توضيح ان قتل الإمام الحسين لم يقـع إلا

بواسطة التمهيد الذي حصل منذ زمن رسول الله ﷺ. فجريمة بهذا الحجم لم تكن لتقع لولا تمهيد طويل وحقد دفين. وهذا ما كشف عنه غير واحد من معسكر آل سفيان بـأنهم يقتلـون الإمام الحسين اخذاً بثارات آبـائهم المـشركين الـذين قـتلهم الإمام علي في بدر وحنين. فواقعة الطف هي استمرار لمعارك النبي في الحقيقة.

كما ان ربط العبـارتين بجملـة «آخـر تـابع علـى ذلـك» توضيح على ان القضية ليست قضية اشخاص ومن ثم انتهـت وبات الأمر من التاريخ والماضي، وإنما قضية مـنهج وسـلوك وصراع بين خطين، خط السلطان وخط القرآن، بين سنة نبـي الله وبين سنة شيوخ البلاط.

بعد رحيل النبي الاعظم ﷺ، تحول الإسلام إلى عـصبية للأقوى، كتأسيس أول للطغيان والاستبداد الـسياسي. ثـم تـم إضافة سنة السلاطين وتعاليمهم إلى القرآن وسنة رسـول الله، كي ينوجد من ثم نوعان للاسلام كـل واحـد منهمـا يعـاكس الآخر ويضاده.

ويشير هذا المقطع مـن الزيـارة الـشريفة إلـى ان الحـق

لايتجزأ ولا الإيمان خاضع للأهواء. فنوالي الحسين باليد اليمنى، باسم حب أهل البيت، ونقبل بتزوير التاريخ والشريعة باليد اليسرى، باسم تقديس بعض الاسماء ولو كانت ضد القرآن والفطرة.

ومن هنا جاء الرفض لكافة انواع الطغيان والتحريف، فسواء كانت خدمة الظالمين ومؤسسات التزوير، باليد أو المشايعة اللسانية أو القلبية أو أي شكل آخر، هو نصرة للظلم على العدل، والشرك على التوحيد، والشهوات على العقيدة.

لقد جاء الإسلام بالمساواة والتآخي، وجعل الجميع راع ورعية، لكن آل سفيان وآل مروان، اعادوا المجتمع الإسلامي إلى حالة الطبقية. لذا بات لايمكن نقد اسماء معينة لا لكونها ذات علم أو ايمان، وإنما لمجرد انتمائها الاسري. هكذا شايع جملة من المحدثين والشعراء والفقهاء وكتبة التاريخ، على قتل الإسلام ونصرة إسلام آخر لا علاقة له برسالة النبي وقرآنه الكريم. حتى بلغ الأمر أن يتم قتل الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة، وسبي عائلة النبي وجعلهم أسرى معذبين، لذا لا بد من صرخة اللعن هنا، لعن شامل لجميع حلقات

الخدمة للبلاط وحاشيته التي تسلطت على الرقاب وحرفت التاريخ وغيرت سنة النبي وشريعة السماء. وتحول الإسلام من ثورة تحرر العبيد واستغلال الانسان للانسان، إلى حروب وصراعات جمعت اكبر عدد من العبيد والجواري في التاريخ، كل ذلك باسم الخلافة والصحابة ورفع راية الدين.

هذا اللعن إذاً هو صرخة نصرت الحق، الحق الذي تم حبسه في زنزانة التاريخ، فعادت الأمة القهقرى، فتراها مذاهب متقاتلة، وطبقات اجتماعية يعلو بعضها بعضاً بالسوط والحسد، فأين هؤلاء من أمة المؤاخاة؟! لقد باعوا ضمائرهم وعقولهم للفقه السلطاني لذا بات السلطان هو المصدر الوحيد للتشريع، وهذا معناه عودة الإسلام غريباً ديناً للأقلية.

الأمل المهضوم

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أبا عَبْـدِاللهِ وَعلَـى الارْواحِ الّتـي حَلّتْ بفنائكَ، وَأنَاخَت برَحْلك عَلَيْكَ منّي سَلامُ الله أبداً مَا بَقيتُ وَبَقِيَ الليْلُ وَالنّهارُ، وَلا جَعَلَـهُ اللهُ آخـرَ العَهْـدِ منّي لِزِيَارَتكُمْ، أهل البَيتِ السَّلامُ عَلَى الحُسَيْن، وَعَلَـى عَليِّ بْنِ الحُسَيْنِ، وَعَلَى أوْلادِ الحُسَيْنِ، وَعَلَى أصْحـابِ الحُسَينِ الذيـنَ بَذلُوا مُهَجَهُم دُونَ الحُسين».

هذا المقطع مثل سابقه يقرأ مئة مرة. التأكيد هنا هو على مفهـوم الارتبـاط بالمرجعيـة الحقيقيـة، المرجعيـة النفـسية والعقيدية ونموذج الاقتداء. كما أن هذا المقطع هو تأكيد على مفهوم التضحية والعطاء. خصوصاً وان النموذج الاعلى اعطـى

نفسه وعائلته وخيرة اصحابه. ليس القائد هنا يزج بالناس إلى الموت بينما هو جالس في قصور الحراسة. أو أنه يطرح نفسه قائد مقاومة أو حزب أو زعيم دولة، يضحي بأبناء الناس في معارك لا نهاية لها بينما أولاده واسرته ينعمون في الأمان في القصور أو في جامعات الدول البعيدة. الحسين قدم اعز اولاده وافضل أصحابه وكان في وسط المعركة. فالقائد الحق لا يقف من معركة الحق موقف الفرجة أو المشرف الخائف على نفسه وعياله. لذا تم هنا ذكر أولاد الحسين واصحاب الحسين وتسمية بعضهم مثل علي بن الحسين لما اشتهر عنه بكونه كان يشبه رسول الله ﷺ شبهاً شديداً، ومع ذلك لم يتحرز أتباع السلاطين من قتله. بمعنى أنه لو كان النبي بنفسه حاضراً لقتلوه ثأراً منهم لبدر وحنين، فهم مصرون على إعادة الطبقية والكهنوتية للمجتمع. فكانت ثورة الإمام الحسين هي بمثابة الدورة الثانية لثورة النبي ونهضته، كي لا يحصل مبدأ أكل الثورة لأبنائها. بهذا يشكل الإمام الحسين ادامة الحركة قبال الركود والسكون والسقوط في القناعة بالراهن والتفسخ والتكرار. لقد مثل الحسين استثناءً وهذا الاستثناء سيبقى

معضلة كؤودة امام ذهنية السلاطين وفقهائهم، كلما حاولوا اطفاء روح التغيير والطموح في الامة، يبزغ الحسين أملاً مهضوماً يجدد الحماس نحو الثقة بالنفس وبقدرات الطاقة الانسانية أن تتحرر وان تخلق لنفسها مستقبلها الحر الكريم. وهذا هو معنى العهد، الذي يجب أن يتذكره الانسان ويجدده مقاوماً ضغوطات قوة بث الملل والضجر والقناعة بما هو واقع، وكأن كل شيء بدون قرار السلطان وفقه التجار الذين أسستهم السقيفة والجمل، والتي هي ليست أحداثاً تاريخية ماضوية وإنما سياقات تضخمت وقويت وصنعت خطاً فكرياً وطرق تفكير وحكماً وتقييماً. ما كان يمكن لنا اليوم أن نعرفها لو لم ينوجد ذلك الاستثناء المثير والبالغ المسمى بالحسين بن علي.

عبودية التاريخ

«اللهمَّ خُصَّ أنْتَ أول ظالم باللّعْنِ منِّي، وَابْدَأْ بِهِ أوّلاً، ثُمَّ الثَّانِي، وَالثَّالثَ وَالرَّابِعِ. اللهُـمَّ الْعَـنْ يزيـدَ خامساً، وَالْعَنْ عُبَيْدَالله بْنَ زيَاد وَابْنَ مَرْجانَةَ وعُمَرَ بْنَ سَعْد وَشِمْراً وَآلَ أبي سُـفْيانَ وَآلَ زِيَـاد وآلَ مَـرْوانَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

تعتيم الزيارة هنا على بعض الأسماء، من اجـل الحفـاظ على اكبر قدر ممكن من الوحدة الإسلامية ولـو أمـام العـدو الخارجي. لكن من غير التنازل عن المبدأ.

فحينمـا نتـصفح كفـاح النبـي الاعظـمﷺ مـن خـلال العرض القرآني لسيرة الرسول، نجـد أن القـرآن يؤكـد علـى عقبة الكفاح ضد عقلية الاب. أو كما يقول القرآن الكريم:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[1].

لكنا نجد ان الذي حصل بعد رحيل النبي الاعظم، انَ الأمة عادت مرة اخرى إلى عقلية الأب فوضعت شيوخاً لا يجوز المس بسنتهم أو نقد سيرتهم، مهما خالفت القرآن وتضادت مع تعاليم رسوله.

وكم نبه القرآن على ان لا نبيع انفسنا للكنيسة أو الدير أو المسجد. فحينما يتحول منزل العبادة إلى تركة بيد اشخاص معينين أو عائلة خاصة أو جهة أو مؤسسة معينة، يكونون هم الاسياد ومن يدخل ثوباً يلبس ثوب الخدمة. يتحول المسجد من منزل لنفي كل سلطة غير الله، إلى مكان الركوع لشتى انواع الهيمنة والقمع والسلطات ما عدا لله.

التدقيق في هذا المقطع من الزيارة الشريفة، يفهمنا قوة الاستذكار لمواجهة خيانة الذاكرة الجمعية للامة، ومحاولة كسر تقديس ثقافة البلاط وأصنام ذهنية على طوطم التاريخ

---

(١) القرآن، سورة الزخرف، الآية ٢٣.

العربي الذي نفى الأئمة والعصمة عنهم وحارب وقتل كل من يواليهم من جهة، لكنه من جهة اخرى وضع عشرات الاسماء بمرتبة القداسة المطلقة فغدا أي تساؤل عن حقيقة هولاء بمثابة تعدٍّ على طوطم العقل العربي وقبائله التي لايجمعها جامع سوى الإيمان السحري بتلكم الاسماء. حتى لقد غدا الخطاب العربي العام خطاباً وسواسياً يحظر أي شيء يمكن له أن يقترب من صندوق التاريخ المطمر. الذهنية العربية تخاف من النقد، أي نقد كان، لأنه يمكن ان يمثل حالة العدوى فيأتي الدور لقراءة الجانب الحبيس من الذات ومن التاريخ.

هكذا تأتي زيارة عاشوراء كمقاومة للإسلام الكهنوتي الذي أبدعته الكراسي والبلاطات، حيث تحول الإسلام إلى مفاهيم بدائية تحرم النظر والكلام والنقد، ويدعو إلى التقليد وتقديس كل شيء باسم الصحابة والخلفاء وتأويل كافة الافعال الشنيعة التي اقترفها هؤلاء. وهذا الإسلام هو بالتأكيد لا علاقة له باسم القرآن الذي كان يحث على النظر في آيات الله ويقول أين دليلكم إن كنتم صادقين؟ ونحن نعلم أنه منذ

القديم كان البدائيون يقسمون التابو إلى تابوات عابرة واخرى قائمة ودائمة، وكانوا يضعون الكهنة والزعماء في خانة التابوات والمحرمات التي يجب ان لا يقترب منها احد بشكل دائم وفي جميع الاحوال. والفكر البدائي الجاهلي هو الذي بدع فكرة عدم الاقتراب من الكهنة والزعماء باعتبارهم حاملين لقوة سحرية، غامضة وخطرة(١).

وهي المعادلة لفكرة أن الصحابة، أي صحابة كانوا، يجب ان لا نسأل عنهم، يجب أن لا نقرب منهم بالنقد والبحث، لكونهم لهم منزلة خاصة بمجرد كونهم ولدوا في زمن ومكان معين. حتى بلغ الأمر ان يتم قتل عائلة وأهل بيت رسول الله وتحويل بني أمية إلى كتبة وحي كما لدى مذاهب وعقائد الحكومات، أو أنبياء وأوصياء كما في الديانة الزيدية. حتى غدا كل نقاش حول حقيقة التاريخ الإسلامي ومرجعية تكوين المذاهب والعقائد بعد حادثة السقيفة ومقتل الإمام الحسين، إلى هاجس هستيري مهمته دفن كل بارقة

---

(١) فرويد، الطوطم والحرام ص٢٤ وص٥٩، ترجمة طرابيشي.

ضوء بتراب الكراهية الموروثة. ونحن نعرف بمعونة علم النفس أن الطبيعة الاجتماعية للعصابي تنبع من ميله الاصلي إلى الهرب من الواقع الذي لا يقدم إشباعات ليلوذ بعالم وهمي حافل بالوعود المعسولة. وفي ذلك العالم الواقعي الذي يهرب منه العصابي يسود المجتمع البشري بجميع مؤسساته التي خلقها العمل الجماعي. والعصابي غدً يشيح عن هذا الواقع، ينفي نفسه بنفسه من الاسرة الانسانية[1]، لذا كان من الطبيعي ان لا تستطيع الأمة العربية الانسجام مع الحضارة المعاصرة بعدما سدت طرق التفاعل العقلي والحواري من الداخل. عليه يأتي لعن الظالمين منذ بداية العصر الإسلامي في زمن الرسول، تهديماً لجدران السجن الفكري المحاطة بالبلاط الديني الذي ما قام على أساس العدل وانما على اساس القوة والبطش والغلبة. حيث تحول المسجد إلى معبد، والطاغية إلى خليفة، ومزوري التاريخ إلى صحابة. ولكون رفض الظلم واجباً على كل إنسان ومسلم،

---

(١) فرويد، الطوطم والحرام، ص٩٩.

وأن الإسلام قام على كلمة الرفض الاولى التي تمثلت بـلا اله الاله، كان اللعن هنا بصيغة المفرد «**اللهـمَّ خُـصَّ أنْـتَ أول ظـالم بِـاللّعْنِ مِنّـي**» وكتأكيـد علـى عامـل الثقـة بـالنفس، والانصهار بالشجاعة الحسينية لمواجهـة الطواغيـت ووسـائل إعلامهم القابر للحق حياً. فمنطق السلطان دائمـاً هـو تهـشيم المعنويـات والثقـة بـالنفس، فلـيس ثمـة شـيء خـارج إرادة السلطان فـالأمر الـذي يثـق بـه الـسلطان يكـون موثوقـاً والا فالانسان مهـزوم متردد غيـر قـادر علـى تعبـئة طاقتـه فـي الاتجاه المعاكس للسلطان وقنـوات اعلامـه الدينيـة والثقافيـة والسياسية.

الحقيقة بلا قناع المذاهب

« اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرينَ لَكَ عَلَى مُصابِهِمْ، الحَمْدُ لله عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتي. اللهُمَّ ارْزُقْني شَفاعَةَ الحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ الوُرُود، وَثَبِّتْ لي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الحُسَيْنِ وَأصْحابِ الحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عليه السلام ».

يقال هذا المقطع وضع السجود، تهيئاً لقراءة دعاء علقمة كعودة وإصرار على مسألة التوحيد لله عز وجل، وإشارة إلى ان قضية عاشوراء هي دفاع عن مبدأ التوحيد بالذات. التوحيد الذي تحول من تحرير للإنسان إلى عبودية للنصوص والحكام والمؤسسات المرتزقة وكهنتها ورجالاتها. وبالتالي هذا المقطع من الزيارة الشريفة هو تكثيف للتضرع والابتهال

إلى الله، كبيان تأكيدي على تناقض منطق السلطان ومنطق القرآن. لذا تم إعادة مفردة الشفاعة هنا، باعتبار ان البيت الذي نزل فيه الوحي هو اقرب البيوت لفهم عبارات الوحي وتعاليمه. ولا يعقل ان يتم الدخول إلى بيت الوحي من غير الباب الذي وضعه الله له فهو الذي قال ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾. وقد دل التاريخ والواقع أن الذي رفض شفاعة أهل البيت سقط في شفاعة الحكام والسلاطين. وبالتالي فثمة رابطة بين نفي الشفاعة وبين التمسك بالقراءة الحرفية والتبسيطية للقرآن الكريم، فيكون لله عز وجل قدم ورجل ويضحك وينزل إلى سماء الدنيا بحمار، وغير ذلك من خرافات هي بالأحرى انتهاك أخلاقي لحرمة كتاب الله جل وعلا. فحينما تم نفي الشفاعة تم قفل باب مدينة العلم النبوية، وبات القرآن قشراً بلا لب، غلافاً بلا محتوى، وهذا والله هو التحريف الأعظم.

وعبارة «حمد الشاكرين» من عبارات الصحيفة السجادية. ومعلوم أن الحمد عام والشكر خاص، فكان معنى حمد الشاكرين، هو ان الحامد يرى كل خير نازل على

الانسانية عائداً اليه ايضاً، فحمد الشاكرين هو ارتفاع إلى مستوى الاخوة الإنسانية. أو ان حمد الشاكرين هو ذلك الحمد الذي يكون الحامد فيه فرحاً بكل نعمة هابطة عليه أو على الآخرين، باعتبارها علامة رضا من الله سبحانه فهو يرضى بهذا الرضا.

وعلى أية حال كون حمد الشاكرين على مصابهم هو الانصهار بأقرب المقربين لأهل البيت. فقد شكرت العقيلة زينب، الله سبحانه على نعمة الشهادة والصبر والابتلاء. فأهل البيت هم الشاكرون فيكون حمد الشاكرين هو الدنو من أهل بيت النبوة واستشعار مصيبتهم وعمق ابتلائهم، فكأنه احدهم. فإذا كان المؤمنون اخوة فكيف بخالص المؤمنين لا يتم استشعار آلامهم وتوجعاتهم. استشعار مصيبة أهل البيت أمر تقتضيه الفطرة الانسانية بالتوجع لمصيبة وحزن الآخرين، فكيف بمصيبة بهذا الحجم؟!.

واستشعار مصيبة أهل البيت قضية تمليها المسؤولية فمن لا يدخل لقلبه التأثر العاطفي كيف يستطيع التأثر والسير على خطاهم بشكل حقيقي وعمق جوهري؟!

لماذا لا تتـأثر بمـصيبة الحـسين سـوى طائفـة بعينهـا؟!
فالحسين بالتأكيد ابن نبـي الإسـلام، وهـو قتـل قبـل ظهـور المذاهب المعروفة اليوم، فلماذا يتعامـل الـبعض مـع حـرارة الآلام بكل هذا البرود وعدم الاهتمام؟!

التأثر القلبي لا علاقة له بمذهب دون مذهب، ولا بعقيدة دون اخرى. فالإنسان يتأثر لطفل رضيع يقتل أو أخـت تـرى أخاها يقتل عطشان بلا ذنب. فلو حال مذهب أو عقيـدة بـين القلب وهذا التأثر الإنساني، فهذا معناه أن هـذا القلـب ميـت، لذا لا تنفع فيه اية أدلة وبراهين ولن يهتـدي بجميـع شـواهد العقل والوجـدان والتـاريخ. فـالتخلص مـن أغـلال الـسجن المذهبي يبدأ من القلب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

خاتـــــمة

الحرية الحسينية
تجديد نهضوي وثورة مستمرة

من جملة مفردات الزيارة المقدسة يتضح أمر في غاية الاهمية يتوجب علينا عدم إهماله في هذا الشرح الموجز القصير.

يتوجب علينا التمعن ببصيرة هنا حيث إن واقعة عاشوراء معركة والزيارة كلمات. وهذا يعني أن هذا التركيب يعنى بتحويل عاشوراء الى ثقافة، فالمعركة مهما كانت عظيمة تبقى محددة بالزمن أما الثقافة فهي مطلقة. لكن قد تكون ثقافة ما لا تعني أنها منهج حي فقد تتصلب وتفقد طاقتها شيئاً فشئياً، تنقلب من تعبير للمصلحة العامة الى وسائل تجارة لفئة خاصة. من هنا يرتبط عاشوراء الفعل مع عاشوراء الكلمة، عاشوراء المرحلة مع عاشوراء الاستمرار، عاشوراء الإيثار

والصبر والتضحية مع عاشوراء المراجعة وإبداع وسائل الابداع. هكذا يلتحم الفكر مع السلوك وآمال الفرد مع تضحيات الجماعة. جماعة عاشوراء ضد التجمع القبلي للسلاطين وفقهاء البلاط. هكذا تغدو صرخة الحسين بوجه مرتزقة الملوك «**لا أرى الموت إلا سعادة والعيش مع الظالمين إلا برما**» أقصى حالات المقاومة، مقاومة إنسانية الانسان ضد همجية المنافع ومستنقعات التكاتفات المصلحية، وضد هيمنة النفوس البربرية التي أسلمت قيادة ذواتها للشهوات وانحدار اللذات الآنية التي لن تتحقق إلا بسحق الآخرين والوقوع في ضعة النفس بالنفاق والتملق لمن هو أقوى .

يتأتى التجديد النهضوي في عاشوراء من قدرة الفرد في مقاومة السلطة.. سلطة الجماعة أو ضغوطات السياسة والحاكمين، أو في مقاومة سلطة وحشة الوحدة في الحق. من هنا ترتبط زيارة عاشوراء بدعاء الإمام الحسين في يوم عرفة «**ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك عميت عين لا تراك**». هنا يتضح أن لا وحشة أكبر من الوقوع في الأسر،

أسر الظلم او أسر الجهل او أسر السكوت او التستر على الجريمة وأفعال الظالمين. بينما التألق كل التألق هو في الحرية. وبما أن الحرية لا تموت، بل ان كل موت هو عبارة عن فقد الحرية، كانت ثقافة عاشوراء ثورة مستمرة تتجدد جذوتها في كل جيل وفي كل مرحلة إذ الروح الإنسانية هي طريق التكامل والتكامل بدوره لانهاية له، ومن هنا نفهم كيف أن كل سلطة لا بد وأن تكون محدودة بحدٍّ، وأن عاشوراء مهما ضيقوا عليها فإنها تكسر كل القيود وعابرة لجميع الحدود، ذلك أن الفارق هنا هو فارق السجن وطاقة الحرية. ولعل من كبرى الدلائل المهمة هنا هي أن كل قوة حاولت ان تبطش بحركة وذكرى عاشوراء فإنها اعتمدت الغرباء والأجنبي وشتى أنواع المرتزقة وشذاذ الآفاق، بينما قوة العودة للنهضة الحسينية وثقافتها تعتمد على الحس الوطني وتفعيل طاقات الشبيبة الثائرة من أجل تحرير الأرض والذات.

من هنا كانت عاشوراء ضد التمرحل وضد تفسخ الوقت وضجر الراهن وصرخة استرجاع الوعي وتفجّر طاقة الأمل. فالسلاطين يريدون السكوت وعاشوراء تنبه الى الجانب

المخفي من القرآن فتصرخ بالمواجهة. فكان التاريخ الإسلامي عبارة عن معسكرين معسكر يدعو ويلهج بالدعاء للسلاطين وعزل الناس عن شؤون دينهم ودنياهم ما لم ترتبط بالبلاط، ومعسكر يصنع اليقظة بدأب الجهاد القرآني. معسكر تحركه الجيوب وحسابات البنوك، ومعسكر تحركه القلوب، وطبيعي أن يكون المعسكر الأول يحرص على فهم معاني ومقاصد القرآن، بينما يكتفي الأول بتبويس جلد القرآن في حضرة السلاطين.

يتضح إذاً في نهاية المطاف كيف تعيدنا زيارة عاشوراء الى القرآن حيث نجد منذ السورة الاولى، سورة الحمد وحتى سورة الناس، أن الحق لا يتضح إلا عبر تقسيم الناس بشكل صريح الى معسكرين معسكر باع نفسه للسلاطين والتجار، حيث منفعة الذات الآنية وشهواتها الدنيوية البدائية، ومعكسر باع نفسه لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾.. معسكر باع نفسه للمعنى، معسكر العبيد ومعسكر الاحرار «**لا أعطيكم إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد**» كما كان يقول الإمام الحسين. وهذا التقسيم هو ذاته الحرص القرآني على لعن

الظالمين والضالين (كما في سورة الحمد) باعتبارهم شر الناس (كما في سورة الناس) وهذا يعني أن الإخلاص مرتبط باللعن، الإخلاص لخط الصالحين لا ينسجم مع رفض لعن الظالمين فهذه ازدواجية وتناقض. كما أن هذا يعني ان الولاية مرتبطة بالتوحيد، فرفض الإمامة هو رفض للتوحيد التطبيقي، الذي يريد أن يبقي التوحيد مجرد ألفاظ وشعارات لا علاقة لها بتزكية النفس للباطن الإنساني ولا له علاقة بصلاح المجتمع حيث تزكية الواقع الخارجي، وهذا هو منطق ثقافة التزوير، التي تريد المحافظة على الراهن وتتجنب التجديد من اجل إدامة سلطة الظالمين والفاسدين. وعلى هذا الأساس سوف تخلق ثقافة التزوير أسطورة تقديس الشيوخ بينما ستبقى ثقافة عاشوراء مرتبطة بالشباب وهذا هو صراع التاريخ سلطة الجمود وثورة التغيير المستمر. مدرسة تعتاش على رواتب الفساد، تدافع عن الحكام وتخرب الذاكرة وتتلاعب بالتاريخ، معسكر يتشبث بالسلطة ولو بزج جميع الشعب في السجون وتكميم الأفواه وقطع الماء وقتل حتى الطفل الرضيع.

ومدرسة تدعم الفقراء والمُضطَهدين وتجدد الطموح في حركات التمرد والمعارضة، معسكر ينشد الحق ويزرع الأمل ولو بأن يسقيه دم أغلى الناس وأقربهم اليه.. هكذا سوف يدفن التاريخ قصور بني أمية والعباس ويكنس تماثيل المستبدين ولا يحتفظ بالفراعنة إلا كمومياء محنطة، بينما يبقى دوي الروح صاخباً بوجه التاريخ: **أبد والله لا ننسى حسيناه.** تلك بالذات هي صرخة الحرية بوجه التخلف والطغاة في كل العصور .

الفهرس